حُزين ومصطفى

خرجْتُ من تحت الدُش، ألُفُّ نفسي ببشكير كبير، أحاول أن أقلد الأستاذ أحمد عز في فيلم مسجون ترانزيت، بعدما ارتكب جريمته البشعة في فيلا الأستاذ محمد أبو داوود، وذَهَبْتُ لارتداء ملابسي، استعدادًا للذهاب لمقابلة ابن عمتي (مصطفى)، حيث انه هَاتَفَنِي وطلب مني الحضور عنده في الشقة التي يستأجرها مع زملائه في العمل؛ لأنه كما أخبرني سَيَدُلّني على أشياء إن فعلتها؛ سأنجح بعد غد في مقابلة العمل التي كنت قد سافرت القاهرة من أجلها. بالتأكيد وافقت على الفور (أنا بَتْشَا على نص فرصة للشغل أصلاً) ومصطفى الله يبارك له، دائم الوقوف بجواري ودائمًا ينصحني ويدلني على الطريق الصح... أتذكر يومًا ما سمعني أسُبُّ شخصًا بأهله نصحني : «بلاش الشتيمة بالأب والأهل ده كلام ملهوش لازمة ... الشتيمة بالأم بتوجع أكتر» .

أكملت ارتداء قميصي الأزرق ،وبنطالي الجينز الأسود، وحذائي الجلد اللامع وركبت ميكروباص، قبل الثامنة، أي قبل الموعد المحدد بربع ساعة كنت أمام العمارة التي بها شقة مصطفى ... صعدت إلى الشقة وطرقت على الباب حيث أن الجرس لا يعمل ... وانتظرت... ولكن لا أحد يستجيب ... طرقت مرة أخرى بقوة

وأيضًا لا أحد يستجيب ... أخرجت تليفوني لأرن على مصطفى... ولكن لاحظت أن الباب ينفتح ببطء شديد وصوت صريره عالي، وخَلْفُه كان ظلام دامس لم أتبين منه كيف انفتح الباب أو من الذي خلفه، ناديت على مصطفى:

-يا درش... يا صاااافي

لم أتلقَ رد، شعرت بالخوف وتراجعت خطوتين إلى الوراء لا إراديًا، فَبَدَأت تظهر لي فوهة مسدس سوداء تخرج من خلف الباب، تَسَمَّرت مكاني وبلعت ريقي وفجأة انطلق من هذا المسدس صوت (بوووووم)!

- سلِّم نفسك ... وهات كل فلوسك!

اضاءت الشقة، وظهر لي طفل في السابعة من عمره يرتدي بذلة ضابط بيضاء، ويحمل مسدس بلاستيكي أسود كبير الحجم، خرج لي مصطفى ومعه شخص آخر يرحبان بي، عَرَّفَنِي مصطفى على عزت صديقه، وأحد ساكني هذه الشقة طويل ورفيع، يرتدي تي شيرت أسود بياقة وسروال أسود أيضًا، أما الطفل فهو سمير ابن جيرانهم في الشقة المقابلة، تركه أهله عندهم لارتباطهم بموعد هام، وفهمت منهم أن هذه الخدعة نُفِّذَت ليجرب هذا الطفل المسدس، وبدلة الضابط الجديدة التي اشتراها احتفالاً

بعيد ميلاده غدًا... عَرِفْت أن الشقة متواجد بها مصطفى وعزت وسعد النائم في غرفته، سَلَّمْت على عزت بحرارة، وهَنَّأْتُ سمير بعيد ميلاده ،وقَبَّلْتُهُ على وجهه ولكنه مسح القُبْلَة بيده سريعًا مُتقرِفًا منها.

- بس شكلك اتخَضّيت.

كانت هذه من مصطفى ساخرًا على موقف الباب، ورَدّيت عليه أنا سريعًا:

-لأ طبعًا ولا اتهزلي جفن!

صالة الشقة كانت مُتسعة، تطل على ثلاث غرف وحمام ومطبخ واسعين، مُكَيَّفَة وبها شاشة تلفزيون، فتح مصطفى التليفزيون على فيلم النمر والأنثى؛ ليتعلم سمير كيف يكون ضابط ناجح في المستقبل، ثم دخلت مع مصطفى وعزت غرفة عزت، وأغلق مصطفى الباب بالمفتاح من الداخل.الغرفة متسعة أيضًا، سقفها متوسط الارتفاع محتوياتها (سرير، ودولاب ولاب توب وبلكونة كبيرة سُورَهَا حديدي ،ومروحة سقف، وأخرى عمود) وبجوار السرير حوالي تسع كتب، لا يظهر على أغلفتها عناوين جَلَسْتُ على السرير أنا ومصطفى، فيما جلس عزت على الكرسي المقابل لنا، وبدأ مصطفى يشرح لي الموضوع:

.بص يا حُزين هي مش حاجات لو عملتها هتنجح، هي إننا هنجيلك حد يساعدك عشان تنجح في المقابلة بتاعة الشغل.

باندهاش حقيقي:

- مش فاهم؟!

رد مصطفى وكأنه يغتاظ مني:

-سيبني أكَمِّل ومتقاطعنيش عشان تفهم .

هززت رأسي مُوافِقَةً، فأكمل مصطفى:

-عزت قدرْ يعرف طريقة تخليك تنجح في أي إنتر فيو تروحه من غير ما تذاكر حرف واحد، وهي ببساطة من غير شرح كتير مش هتفهمه... تعويذة بتتقري، وبتخلي فرد من قبائل الجن المثقفة يحضر ،ويجاوب على لسانك، ف لجنة الإنترفيو تقتنع بيك إنت...

انفتح فمي لا إراديًا حتى أصبَحَ فَكِّي يقترب من ملامسة الأرض وصرخت:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!!

(ما تخافش دي طريقة مِتْجَرَّبَة، ناس كتير عملتها، وإتْعَيِّنِت في مناصب دلوقتي) .

كان هذا صوت عزت الذي نطق جملته بثقة دفعني للرد عليه:

- ياعني الـ .... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ده هيخلي اللجنة تقتنع بيا إزاي؟! بِيِلْبِسْهُم مثلاً، ويخليهم يشوفوني شاب كيوت ملوش مثيل؟؟؟؟؟

رد مصطفى بجدية:

-لأ هَيِلْبِسَك إنت.

-نعممممممممممممممممممممممممممممم!

استكمل مصطفى وكأنه لم يسمعني :

-بِيِجِي ويِلْبِسَك، ويِخَلِّيك تجاوب إجابات نموذجية على أسئلتهم ،وبعد ما بتنجح بيمشي.

-لا والله! ..طيب افرض كَسِّل يمشي أو جَالُه شلل وهو جوايا ... أعمل إيه أنا بقى؟؟؟؟؟؟؟

رد مصطفى بجدية شديدة لم أعتد عليها منه من قبل:

- انت هتهزر ... الحاجات ديه ما فيهاش هزار ... لازم تحترمه عشان يحترمك ... فاهم؟

نطق مصطفى كلمة فاهم بمنتهى الحزم، فأكَّدَ ليّ أنهما لا يمزحان معي، تدخل عزت في الحوار مرة أخرى:

- ما تخافش دي طريقة مِتْجَرْبَة.

- لا يا جماعة بلاش... قلة الشغل مش هتْمَوتِنِي، بس العفريت ممكن يمَوّتِنِي ...

قطع عزت كلامي:

- اسمه جن ما تقولش عفريت عشان بيِتْقِمِص... وممكن يؤذينا.

- وكمان هتجِبولي واحد من اللي هما أعوذ بالله الشيطان الرجيم قَمّاص!

استطرد عزت كلامه:

-إحنا دلوقتي هنْجَرَّب إنه يجي لمدة خمس دقايق يِلْبِسَك فيهم، عشان نِطَّمِن وبعد الخمس دقايق هو هيِنْصِرِفْ لوحده، ونْحَضَّرُه تاني بعد بكره عشان المقابلة لمدة خمس ساعات.

- هو أعوذ بالله بيِتْفَائِل برقم خمسة ولا إيه؟

- لا... بس مكتوب عندي إنه بيِحْضَر خمس دقايق ،أو

ساعات، أو شهور أو سنين، وبعدين ما تخافش إحنا هنعمل مقابلة بسيطة بينكم؛ عشان تتعرفوا على بعض دلوقتي مش أكتر.

وكأنه يعزمني على جلسة زواج!

- ....! لا ده حبيبي وده فوق فوق راسي من غير ما يجي ولا يتعب نفسه.

وَجَّهَ مصطفى كلامه ليّ:

- ما تخافش إحنا بس هنِطَّمِن إن كل حاجة صح.

ياعني انتو تِطَّمَنُّوا وأنا أموت!

وكأني لم أقل شيئًا، قام مصطفى ووضع مخدة خلف ظهري، فيما مسك عزت كتاب كان لون غلافه أخضر فاتح، ونظر في عيني وقال ليّ:

-استرخي وافرد جسمك وما تفكرش في أي حاجة دي شكة دبوس!

الطلب المناسب في الوقت المناسب ... إذا خرجت من هذه الغرفة سالمًا سأقطع علاقتي بمصطفى .

أحْكَمَ مصطفى مسك قدماي، وقام عزت من على كرسيه، ووقف على السرير الذي استرخي عليه، وجلس على صدري القرفصاء، وأنا اختنق صرخت:

- ليه كدا طاااااااا؟

- عشان الجن ما يخفش من حركتك.

-...............!

بدأ عزت يقرأ من الكتاب الذي في يده، ويتمتم بصوت غير واضح وجمل غير مفهومة، وبعد دقيقة، قاطعه صوت انبعاث تِتّر مسلسل الكبير من اللاب توب، نظر مصطفى وعزت إلى اللاب توب باندهاش، وشرعا في القيام من عليّ، فخف وزن رُكْبَتَيّ عزت من على صدري... وجدتها فرصة للتخلص منهم، وطلبت منه أن يقوم ويغلق هذا اللاب توب...

لكنه لم يجب عليّ...

((يا يا يا ولد يا ولد أنا جيت، نورت البيت قوم فِذ وَطّي البيزى، وعلى البيت سمعنى صوت عيار، وصقفة ،وحبة زغاريط أنا الكبيير..هو الكبير)).

ثم سكت اللاب توب فجأة ... فقولت:

- هو في إيه ياجدعان بالظبط مالكوا؟

كانت هذه جملتي والتي رد عليها عزت بخوف:

- ده اللاب توب بتاع مصطفى ومِسَقَّط ويندوز من شهرين .

- نعممممممممممممممممممممممم!!

وقال مصطفى بصوت مُرْتَعِش :

- وأنا معنديش الأغنية دي على اللاب من أصله.

- ياعني إيه بقى مش فاهم!

قام مصطفى ليغلق اللاب توب، وقام عزت من على صدري، وتَمَعَّن في قراءة الكتاب الأخضر الذي بيده، عُدت أنا لوضع الجلوس، لم تكتمل لحظات بعدما أغلق مصطفى الجهاز، حتى انفتح مرة أخرى على أغنية أخرى وبصوت أعلى:

((معلش ماهى غلطتى، ماهو دى جزاة رقتى ،لو دقت يوم قسوتى قلبك مكنش اتغر))

في فزع ابتعد مصطفى عن اللاب توب... والتصق بيّ!

((بيع فيا واشترى مانا بسقيك بإيدى الهنا مع إنى ليك كام سنة، قلبك سقينى المر لكن خلاص والعيش والملح ما هسيب لقلبك نار، ولا جرح إلا ما دوقهولك كل اللى عدى وعشته دا كوم، ومن النهارده هتنسى النوم، وشوف أخْرِة غرورك))

قال مصطفى والعرق يَتَصَبّب منه:

- هو احتمال اللي بيحصل ده بسبب الكلام اللي قريناه؟!

- احتمال مش متأكد يا عني.

كانت هذه جملتي حين انفتح برنامج الورد، ووجدنا سؤال يُكتب (أبدأ بمين فيكم؟) وطبقًا لنظرية النذالة المطلقة إن جالك الطوفان، صرخت أنا ومصطفى في صوت واحد: بعزاااااااااااااااااات

انتفض عزت، وجاء والتصق بنا، طلب مصطفى منه أن يذهب ويفصل فيشة اللاب توب.

لكنه قبل أن يتحرك من مكانه، رأينا أشياء غريبة لا تصدق لا تحدث إلا في أفلام الخيال والأشباح، فيشة اللاب توب انخلعت من مكانها، وبدأ اللاب يغني أغنية ياسمين نيازي:

((أنا هعمل فيك جميلة، عارفاك قليل الحيلة، وبجد صعبت عليا ..إلخ))

((أنا هعمل فيك جميل، عارفاك قليل الحيلة آه، وبجد صعبت عليا، أنا هطلع بنت أصيلة مش هبقى معاك بخيلة آه، وهحنن قلبي شوية، هرحم عينيك م اللي مبكيك، واللي مخليك هتموت عليا)) قبل أن يِهَنّج على كلمة (هتموت، هتموت، هتموت) انطفأت المروحتان، أظلمت الغرفة، انفتح باب البلكونة بدون شيء يُحركه، وتطايرت الكتب وبدأت تسقط واحدًا تلو الآخر من البلكونة، زاد التصاق بعضنا ببعض، وباتت رُكَبِنَا تتخبط ونحن نرتجف، ونفقد القدرة على الكلام، وكُتب سؤال أكبر (يّلا يا عزت نط ولا تحب أشيلك وأرميك ؟)، جرى عزت ناحية باب الغرفة يحاول فتحه لكنه لم ينفتح وكأن أحدًا ما من الخارج يمسك به، جَرَيتُ أنا ومصطفى في اتجاه الباب نحاول فتحه، مع عزت ونطرقه وننادي على سعد والطفل سمير والجيران، لكن لم يُجبِنَا أحد، لم تكتمل دقيقة حتى سمعنا صوت خبطة مُدَوِّية، فنظرنا خلفنا وجدنا مروحة السقف سقطت على الأرض، في هذه اللحظة مسك عزت رقبته يجذب بقوة ياقة تِيشِيرتَهُ إلى الخارج، وكأنه يحاول إبعاد يد تخنقه وهو يصرخ:

-بَتْخِنِق .. هَمُوت .

جذبت أنا ومصطفى التيشيرت الذي يخنقه بقوة، لكنه استمر في الصراخ، واللاب توب يصرخ بجملة (هتموت، هتموت)،

لمحت مقص ساقط أقصى الغرفة فجريت عليه وحملته وذهبت إلى عزت.

قصصت التيشيرت من الخلف وشددته، فانفك من عليه.

- البلكونة.

كانت هذه كلمة مصطفى في إشارة منه للهروب من البلكونة، لكنها أُغلِقَتْ بسرعة أسرع من سرعة حركتنا، حاولنا فتحها ولكنها كانت مغلقة بشدة مثل الباب تمامًا، وفي فزع أشار مصطفى إلى شاشة اللاب توب وقد كُتِبَت عليه جملة:

(عاملي بطل بتنقذه، طيب أنا هجيلك إنت).

إنت؟ يقصد من بإنت ؟؟؟؟؟؟ غالبًا يقصد الكائن قليل الحظ في الدنيا، المأسوف على شبابه الذي جاء برجليه للجحيم (أنا)!

بدأنا نصرخ على صوت واحد:

-إنقذووووونا... إلحقوووووووونا

واللاب توب هو أيضًا يصرخ:

(هتموت.. هتموت.هتموت.. هتموت)

لكن فجأة أنارت الغرفة وأسودَّت شاشة اللاب توب، وسكن تمامًا، ودارت المروحة العمود، واستجاب الباب للفتح، فخرجنا من الغرفة نهرول، فوجدنا شاب يشرب الشاي، والذي عَرِفْت أنه سعد فَبَادَرَنَا هو بالسؤال:

-انتو كنتوا بتعملوا إيه جوه ... خبطت عليكم كتير ... ما كنش طالع ليكم صوت!

-..................

لم يكن هناك وقت للرد عليه؛ فقط تسابقنا نحن الثلاثة لدخول الحمام بالنسبة ليّ كان دخول الحمام كأول شخص، أمر لا مفر منه حتى لا يتحملون عناء تنظيف الأرضية .

حكينا له ما حدث، وفي النهاية اقتنعنا أن من حَضَرَ كان شرًا جاء بالخطأ، كما لاحظنا أنه أتى بالتعويذة ،التي اشترطت عليه خمس دقائق فقط وبعد الخمس دقائق اختفى، ولولا ذلك لكان قتل أحدًا منا على الأقل ... ساد صمت بيننا.

(بووووم، بوووووم، بوووووووم)

فزعنا نحن الأربعة بشكل مبالغ فيه قبل أن يهتف سمير فينا:

- أمان يا رجالة أنا مش هطلع ظابط، أنا هطلع عبده القماش!!

اقترح عليّ مصطفى أن أبات معهم هذه الليلة، طلبت منه أن يتركني أرحل؛ لأنني لن أستطيع النوم في هذه الشقة أبدًا، تمتم عزت:

- مش عارف إيه اللي حصل مع إن دي طريقة مِتْجَرَّبَة!

ردّ عليه مصطفى :

- لو نطقت كلمة فيها حرف الجيم، أو الميم، أو التِهْ لمدة أسبوع أنا اللي هرميك من البلكونة يا ابن الكلب.

- لا يا مصطفى مش كدة؛ انت اللي علمتني إن الشتيمة بالأم بتوجع أكتر ... هو إنت يا عزت جربتها قبل كدة؟

- لأ ... بس اللي قالي عليها حِلفلِي إنها مِتْجَرَّبَة!

- ....

نظرنا له جميعًا باشمئزاز يتفوق على نظرة كلب لُولُو ابن ناس لكلب بلدي أثناء هرشه برجله الخلفية للتخلص من القمل.

في طريقي خرجت إلى الشارع الرئيسي لاستقلّ ميكروباص،

كانت الأحداث تدور في ذهني مجمعه، اتصل بي مصطفى وجئت له، قابلته هو وصديقه عزت، عرفوني أن فكرتهم تتلخص في إحضار جن من قبائل المُتَقَّفين؛ سَيَلبِسَنِي ويجعلني أنجح في مقابلة العمل، قرأ عزت تعويذة سحرية للتأكد من فاعليتها، لكنها كانت مشروطة بأن يحضر الخادم خمس دقائق فقط، ولكن ما حضر كان جنِي مُؤذِي من قبائل «ذا فويس» على ما يبدو، أراد أن يقتل عزت وبعدما أنقذته، فكر في قتلي ولولا إن وقته انتهى كان قتلني بالفعل فحمدت الله إني خرجت من الشقة سالمًا وبكامل أعضائي... لم أفق من أفكاري إلا وأنا داخل ميكروباص كان يشغل مهرجان شعبي.

حاولت التراقص معه ونسيان ما حدث معي في هذه الليلة العصيبة:

((هو انت فيك إيه إيه مظبوط ...

لا رفرف نافع ولا كبوت حتى البيضة مافيهاش كتكوت

يعنى نعيش بقى ولا نموت

الوسادة الخالية تعبت منى ياغالية

ده حبيبي لابس برنيطة..

ومعلق في رقبته شريطة ...))

انتهى المهرجان وبعده تلقائيًا انبعثت أغنية ياسمين نيازي (قليل الحيلة) قبل أن تقف الأغنية وتعلق على كلمة (هتموت... هتموت... هتموت... هتموت) .

-الجهاز بتاعك ده شكله قديم يا سطى؟

كانت هذه عبارة أحد الركاب والتي رد عليه السائق:

ابدًا والله دنا لسه شاريه، وبعدين أنا معنديش الأغنية دي على الفلاشة، هو مش راضي يفصل ليه؟؟؟ ... يا جماعة حد بيفهم فيه؟!

لو خرجت سالمًا من هذا المايكروباص سأقطع علاقتي بعمتي نهائيًا.

•••

حُزين يقابل مياااو

سَمِعْتُ ذات مرة من صديقي أحمد هندي، أن في أوروبا يستيقظ الإنسان على صوت موسيقى هادئة أو زقزقة عصافير حتى لا يُصاب بسكتة دماغية، أما اليوم في السابعة صباحًا وفي أثناء حلمي بحبيبة قلبي جوجو، قذفت أمي باب حجرتي على طريقة اقتحام القوات الخاصة أوكار تجار المخدرات وهي تصرخ في صرخة مُدوِيَة مُجَلْجِلَة عابرة الزمان والمكان تقضي على الكائنات الحية في طريقها، أحدثت في أُذُني صَمَمْ مؤقت وجلبت لجوجو نفسها أزمة قلبية:

- إصحااااااااا... إتأخرناااااااااااا... إنت يا وااااااااااد

نظرت مفزوعًا في المنبه قبل أن أرد على ست الحاجة:

-يا ماما لسه فاضل ١٤ ساعة على ميعاد الطيارة.

-الوقت بيجري قوووووووووووم.... يلا قوووووووم.

اليوم سيسافر أبي، وأمي في رحلة العمرة وسيتركاني بمفردي لأول مرة منذ عشرين سنة وبالطبع كان عليّ القيام بتوصيلهما إلى المطار، وكل ما احتاج فعله في هذا اليوم هو ارتداء سروال من الجينز، وتي شيرت ولا يتطلب الأمر أكثر من ثلاث دقائق وليس ١٤ ساعة.

-إلبس بسرعة يلا!!!!!!!.

أمي تستعجلني بنفس طبقة الصوت التي تَعْبُر الزمان والمكان، وتقضي على الكائنات الحية في طريقها.

- حاضر.

في الطريق إلى المطار كانت أمي تكرر تعليماتها إليّ، وكنت استمع لها للمرة السابعة والثلاثين:

- ما تِفتحش الشباك الصبح عشان الدبّان ما يملاش الشقة.

- حاضر.

- وما تفتحوش بالليل عشان الناموس ما يدخلش.

- حاضر.

- وما تسيبهوش مقفول عشان الشقة ما تكمكمش

- حاضر!

- وباقي أكلك حُطُّه في التلاجة مش تحت السرير.

- حاضر.

- ومش كل شوية تفتح التلاجة هتبوظ جلدتها.

- حاضر.

- وما تقعدش ترقص على الأغاني لوحدك زي المهابيل.

- حاضر.

- والغسيل تحُطُّه في الغسالة ... ما ترمهوش تحت الحوض.

- حاضر.

- ما تجبش صحابك الولاد في الشقة.

- حاضر.

- ما تجبش بنات في الشقة.

كانت هذه الأخيرة من أبي.

-والله أنا عارفة هاجي الاقي الشقة مقلوبة بسبب عمايلك السودا.

أمي – ست الحبايب –

-.....!!!!

حدث تَأَخُّر في موعد الطائرة ... وهو ما جعلني أنتظر في المطار حتى الساعة الواحدة صباحًا.

في طريقي إلى الشقة، ورغم أني أشْتَمُّ رائحة كريهة لا أستطيع تحديد مصدرها، رُحْتُ أفكِّرُ في (جوجو)، حبيبتي، جميلة هي كدبْة قُطنِيَّة، أعجبْتُ بها من أول مرة رأيتها تتناول وجبة البرجر الكومبو كلها في ثلاث قضمات، ورشفتين... ثقيلة هي كرافعة بناء، بَدينَة هي ككاسحة الغام، أعشقها وهي ترتدي بلوزتها الليموني السبعة إكس لارج، لن أنسى هذا اليوم الذي قالت لي فيه : إنت حوحو وأنا جوجو ... ((إحنا إتخلقنا لبعضينا))

هييييييييييييح بقى.

- ميااااااااااااو.

كان هذا صوت مواء قطة سوداء صغيرة، قطع هذا الصوت تفكيري في جوجو ،كانت هذه القطة جالسة منكمشة بجوار جدار المنزل الكبير الذي على ناصية شارعنا ،وهي تنتظر لي، يبدو أنها جائعة وخائفة...أأتْرُكها أم أساعدها؟ الشارع طويل ومظلم وخالي من المارة تقريبًا في هذا الوقت ولن تجد أحد يطعمها غيري ،وهي الآن وحيدة مثلي تمامًا!

- ميااااااااو.

اتخذت قراري، ذهبت لسوبر ماركت الحاج رُحيم القريب من هذا المنزل الكبير وحيِّته، واشتريت علبة تونة مُفَتَّتَة ،كلفتني خمسة جنيهات ونصف وعدت إلى القطة ... وفتحت علبة التونة

لها واقتربت منها، اقتربت هي وتَشَمَّمَتْهَا قبل أن تبتعد عنها ... وهي تنظر ليّ:

- ميااااااو.

- تصدقي أنا غلطان إني نزلت لمستوى واحدة زيك...

- ميااااااو.

- مياوو في عينك وعين اللي خلفوكي... كنتي تقولي إنك شبعانة قبل ما افتح العلبة دي بخمسة جنية ونص... ونص ها!

تركتها وأشَحْتُ بنظري عنها وأكملت طريقي ...

دخلت الشقة وأغلقت المزلاج، أعتقد أنني استطعت تحديد مصدر الرائحة الكريهة، ووجب عليّ أن أنزل تحت الدُش قبل أن أنام!!

لكي أستريح من تعب هذا اليوم الطويل الصعب الذي بدأ بصرخة في أذني ،وانتهى (بضلعة) في خمسة جنية ونص، حينما انتهيت من حَمَّامِي... سمعت شيء وكأنه دقات قادمة من ناحية باب الشقة ... من سيأتيني في وقت متأخر كهذا ؟؟؟؟

أرهفت السمع فلم أسمع شيء، يبدو أنها تَهَيُّؤات من تعب اليوم، لكني سمعت نفس صوت الدقات مصحوبًا بصوت خربشة في الباب، اقتربت ونظرت من العين السحرية .

في طريقي إلى الشقة، ورغم أني أشْتَمُّ رائحة كريهة لا أستطيع تحديد مصدرها، رُحْتُ أفكِّرُ في (جوجو)، حبيبتي، جميلة هي كَدُبَّة قُطْبِيَّة، أعْجِبْتُ بها من أول مرة رأيتها تتناول وجبة البرجر الكومبو كلها في ثلاث قضمات، ورشفتين... ثقيلة هي كرافعة بناء، بَدِينَة هي ككاسحة الغام، أعشقها وهي ترتدي بلوزتها الليموني السبعة إكس لارج، لن أنسى هذا اليوم الذي قالت لي فيه : إنت جوجو وأنا جوجو ... ((إحنا إتخلقنا لبعضينا))

هيييييييييييييييح بقى.

- مياااااااااااو.

كان هذا صوت مواء قطة سوداء صغيرة، قطع هذا الصوت تفكيري في جوجو ،كانت هذه القطة جالسة منكمشة بجوار جدار المنزل الكبير الذي على ناصية شارعنا ،وهي تنظر لي، يبدو أنها جائعة وخائفة...أأتْرُكها أم أساعدها؟ الشارع طويل ومظلم وخالي من المارة تقريبًا في هذا الوقت ولن تجد أحد يطعمها غيري ،وهي الآن وحيدة مثلي تمامًا!

- ميااااااااو.

اتخذت قراري، ذهبت لسوبر ماركت الحاج رُحيم القريب من هذا المنزل الكبير وحَيِّته، واشتريت علبة تونة مُفَتَّتَة ،كلفتني خمسة جنيهات ونصف وعدت إلى القطة ... وفتحت علبة التونة

لها واقتربت منها، اقتربت هي وتَشَمَّمَتْهَا قبل أن تبتعد عنها ... وهي تنظر ليّ:

- ميااااااو.

- تصدقي أنا غلطان إني نزلت لمستوى واحدة زيك...

- ميااااااو.

- مياوو في عينك وعين اللي خلفوكي... كنتي تقولي إنك شبعانة قبل ما افتح العلبة دي بخمسة جنية ونص... ونص ها!

تركتها وأشَحْتُ بنظري عنها وأكملت طريقي ...

دخلت الشقة وأغلقت المزلاج، أعتقد أنني استطعت تحديد مصدر الرائحة الكريهة، ووجب عليّ أن أنزل تحت الدُش قبل أن أنام!!

لكي أستريح من تعب هذا اليوم الطويل الصعب الذي بدأ بصرخة في أذني ،وانتهى (بضلعة) في خمسة جنية ونص، حينما انتهيت من حَمَّامِي... سمعت شيء وكأنه دقات قادمة من ناحية باب الشقة ... من سيأتيني في وقت متأخر كهذا ؟؟؟؟

أرهفت السمع فلم أسمع شيء، يبدو أنها تَهَيُّؤات من تعب اليوم، لكني سمعت نفس صوت الدقات مصحوبًا بصوت خربشة في الباب، اقتربت ونظرت من العين السحرية .

يا للهول لم أجد احداً!

ولكن الأصوات كانت تزيد، فتحت الباب بحرص فقابلتني:

-ميااااااو.

القطة (الكلبة) كانت تخبط الباب برأسها، الآن فهمت هي لا تريد طعام؛ هي تريد مكان تبيت فيه تَذَكَّرْت وصايا أمي وأبي:

((ماتجبش صحابك الولاد في الشقة . وما تجبش بنات في الشقة))

لم يذكر أيٌ منهما شيء عن الحيوانات، فتحدثت إلى ضيفتي بلهجة آمره كنوع من فرض السيطرة:

. اسمعي أنا هدخلك تنامي تحت الكنبة... بس إوعي تتحركي من تحتها أو تعكشي الدنيا.

- مياااااو.
- فاهمة ؟
- ميااااو.
- غبية والله ... خشي برجلك اليمين!

دخلت ضيفتي تحت الكنبة، فيما سَحَقْت أنا قطعة خبز بقطعة جبن أبيض وذهبت إلى سريري ...

عندما نمت حلمت بأغرب حلم في حياتي على الإطلاق، رايت في منامي رجلاً يستحم في حمامي، ثم ينشف جسده ذا اللون الأصفر في بشكيري، ويخرج من الحمام، ويستقبل أربعة أشخاص ذوي بشرة صفراء وشعر أزرق مجعد، وفي خلال ثوانٍ امتلأت صالتي بهم وهم يجلسون ،ويدخنون أحجار الشيشة ويقهقهون فيما بينهم، كنت أشاهدهم من بعيد وأنا في قمة الاندهاش من هؤلاء، وكيف دخلوا شقتنا؟! ... شعرت بألم في قدمي من الوقوف، وجدت كرسي خالي، فذهبت لأجلس عليه ،لكنه فجأة سُحب من تحتي، فسقطت على الأرض، أخذ هؤلاء الأغراب يضحكون عليّ... استيقظت في الحادية عشرة، ذهبت إلى الصالة فلم أجد أحد، عَرَجْتُ إلى الحمام لكني وجدته كما تركته أمس ... يَا لَهُ من حلم سخيف ... القطة أيضًا كانت نائمة تحت الكنبة في هدوء... فتحت لها الشباك كي تستيقظ:

-إنتي على طول نايمة، ملكيش لازمة قومي ارمي الزبالة، أو اعملي أي حاجة مفيدة!

- ميااااااااااااو.

- ما فيش فايدة!

تركتها وذهبت لممارسة طقوسي في أحد أيام أجازة نهاية العام الدراسي المباركة، والتي تتلخص في طقس واحد هو لعب الـ(PES) ١٢ ساعة يوميًا عند أحمد هندي ،حيث تجتمع شلتنا المُكَوَّنة من أربعة أشخاص (أنا وأحمد وهيثم وإبراهيم)يتخلل هذا الطقس العظيم الكثير من المأكولات ،والمشروبات التي تساعدنا على التركيز والوصول إلى افضل النتائج والمهارات الممكنة والغير ممكنة!

... بعد يوم حافل من اللعب ببرشلونة واكتساح جميع الفرق، رَجَعْتُ إلى شقتنا مُتْعَبْ أصابع اليدين ... ودخلت لأنام ... لكن فجأة سمعت صوت على الباب يشبه الصوت الذي سمعته أمس، التفت إلى الكنبة فوجدت القطة مسترخية في مكانها ... اندهشت وفتحت الباب فوجدت كلب أسود صغير ينظر ليّ (هووو... هووو... هوووو).

- .نعم إنت كمان عايز إيه ؟

- نظر إليّ نظرة ذات مغزى تشبه نظرة القطة بالأمس، ونبح.

- هوووو.. هوووو.

- جاءت القطة ووقفت عند الباب بيني وبينه وبغضب صرخت.

- ناوووو.

وكأنها تقول له (مش هتدخل).

- طيب إيه رأيك هيدخل ،ده بيتي مش بيتك فاهمة ولا لأ ؟

نطقت هذه الجملة منفعلاً ؛لردع هذه القطة حتى لا تشعر أنها صاحبة البيت وأكملت له:

- ادخل وما تعملش مشاكل معاها فاهم ولا لأ؟

- هووو ... هووو.

- مافيش فايدة... موعود أنا بمقابلة الأغبيا... صبرني يارب.

عندما نمت رأيت في حلمي مجموعة الرجال الخمسة ذوي البشرة الصفراء والشعر الأزرق - رجال أصحاب حلم الأمس - يجلسون على المقاعد، ويرمقون بغضب أربعة رجال لهم بشرة خضراء، وشعر أصفر يجلسون على مقاعد في الجهة المقابلة لا أعرف من أين أتوا بها هي الأخرى، ووضعوها في شقتي! قبل أن يقوم واحد من أصحاب حلم الأمس ويصيح:

- أعدااااااااااا، احتلاااااااااال، اقتلووووووهم.

لينتفض الرجال كلهم انتفاضة أسقطوا على إثرها جمي المقاعد ودخلوا مع بعضهم في شجار عنيف... تطاير فيه الشا شقتنا، قبل أن تشتد المعركة بين الطرفين ،ويحاول كل منهم ر واحد من الفريق الآخر وقذفه على الأرض، أحدهم تَلَقَّى ضرب في صدره فأصابه بسببها ضيق تنفس ... فذهب وفتح الشبا ووقف أمامه.

- الناموس هيدخل ...أمي هتنفخني!

استيقظت وأنا أصرخ بهذه العبارة ،وركضت إلى الصال وجدت القطة نائمة في مكانها والكلب بجوار الباب مُمَدَّد كم تركته أمس... والأهم من ذلك الشباك كان مغلقًا ... ابتلعت ريق وأخذت أفكر في هذه الأحلام الغريبة التي لازمتني في الليلتين السابقتين:

- قوموا كفاياكم نوم كدة يا كسلانين ... كانت هذه مني للكلب والقطة.

بعدها ارتديت ملابسي وذهبت إلى الشلة، وعندما عُدت ما إن أغلقت الباب من خلفي حتى سمعت نَفْس صوت أمس وأول أمس ولكنه أقوى، فتحت الباب فوجدت كلب بلدي أسود كبير الحجم ينظر ليّ.

- أوعى تقولي إنك إنت كمان عايز تباتش؟

نطقت هذه الجملة باندهاش، فيما رد وهو ينظر إليّ وكأنه يجيب على سؤالي:

- هَو ... هَو.

- آسف يا كابتن أنا مش فَاتِحْهَا مَلْجَأ.

- هَو ..هَو.

- هي طيبة قلبي دي اللي موادياني في داهية.

- هَو هَو هَو.

- هتونو هتهوهو هتماماً، ما تحاولش مش هضعف المرة دية ... دنتا حتى غبي زيهم ما بتتكلمش!

أغلقت الباب، نظرت لأطمئن على الشباك فوجدته مغلقًا، شعرت باحتياجي لشرب لتر من الماء على الأقل، فاتجهت إلى الثلاجة.

- ماشي ... ماشي هي جت عليّا أنا يا ابن الكلب.

انفتحت عيناي إلى أقصى اتساع، هذا الصوت كان عالي للغاية من أين يأتي؟!!

اعتقد إنه يأتي من خلف الباب! أتمنى ألاَّ يكون ظني صحيح، بسرعة عُدت وفتحت الباب فوجدت الكلب الأسود ينظر لي، ولم أجد أحد آخر!

هل يكون مقلب من أحمد هندي والشلة؟! فهم يعرفون أني أجلس بمفردي في البيت كما أني حكيت لهم على موضوع القطة والكلب ... بالتأكيد هم... وعليّ أن أحرق مراكبهم قبل تصل إلى الشاطئ؛ حتى لا ينتصروا عليّ.

- مين اللي اتكلم دلوقتي وشتمني؟ أنا عارف إنك إنت يا هندي؛ هي نفس نبرة صوتك الوحشة... اطلع... إنت فين ؟

كان الكلب الأسود الكبير يحدق فيَّ، وهنا حدث أغرب شيء ليّ على الإطلاق ،وربما أغرب شيء في الحياة كلها ... وجدت الكلب يُحرك فكيه ويخرج منه صوت أجش آدمي ،وينظر في عيناي ويُحدثني بثبات:

- هندي مين وفنزولي مين! هو في حد واقف غيري هنا يا غبي؟

كان هذا فوق طاقتي على التحمل حيث أظلمت الدنيا من حولي وسقطت.

استفقت فوجدت الظلام يحيط بي ،وأنا ممدد على سرير، رائحة المستشفيات في أنفي، وفي يدي كانيولا معلق بها محلول، الغرفة مُظلمة بابها مفتوح يأتي منه شعاع نور أبيض ضعيف لا ينير سريري أو السرير الذي بجانبي ،والذي يتمدد عليه شخص تنبعث منه تأوهات وفجأة صاح بصوتٍ عالٍ للغاية:

-آه يا بطني... يااااابطني... إلحقوني.

هذا صوت أحمد هندي صديقي! أو ربما هو صوت الكلب الذي تكلم معي؟!!!

سأنادي عليه فإذا قال لي إنه أحمد سيكون أمرًا جيدًا، أما لو كان الكلب سأنزع عني هذه المحاليل وأصرخ مثل الأطفال وأفِرُّ هاربًا (ده لو لحقت يا عني)، قبل أن أنادي عليه دخلت فتاة تلبس أبيض في أبيض، قصيرة، تحمل في يدها حقنة يبدو إنها ممرضة، أي أنها واحدة من ملائكة الرحمة تُراعينا حتى نتماثل للشفاء ناديت عليها:

- لو سمحتي يا آنسة؟

- إيه ده إنت فوقت؟! ... هو ما فيش حد منكم بيموت ويريحنا ليه؟! ... مش فضيالك دلوقتي لما أشوف صاحبك المهبوش!

ـ [illegible]...

ـ [illegible] إيدك تقيلة.

ـ إنت اللي نَايْنِي... يا مهبوش هععههههه.

كان هذا الحوار بين المرضة والشخص الذي يتمدد بجانبي، وأنا لا أعرف هل هي تتحدث مع أحمد هندي، أم مع الكلب أم مع شخص آخر بسبب الظلام فناديت عليه سائلاً:

ـ هو إنت أحمد هندي صاحبي ولا إنت كلب؟!

لم يرد عليّ!

دخل شاب يرتدي بالطو أبيض يبدو من هيئته أنه طبيب وجّهَ كلامه إليّ:

-حمد لله على سلامتك، إيه اللي حصلك؟

أجبت بصوت من استيقظ للتو من النوم:

- الباب خبط روحت افتح لقيت كلب بيكلمني... هو اللي نايم جنبي ده كلب أسود ولا بني آدم اسمه أحمد؟!

بنبرة تدل على شكّه في قوايّ العقلية:

- بني آدم طبعًا، واسمه أحمد.

ـ أصل بَكَلِّمُه ما بيردش!

ـ واخد حقنة مسكن قوية.

ـ هو أنا عندي إيه يادكتور؟

ـ صدمة عصبية ... ما تقعدش لوحدك تاني، وركز وسيبك من الكلاب والكلام الفاضي ده ... عشان اكتبلك على خروج بُكرا، وإلا هحولك قسم أمراض نفسية.

فكرت أن أدافع عن نفسي وأن أخُبره أني لست مجنون، لكني تذكرت أن لا أحد عاقل سيصدق ما حدث، فهززت رأسي وكأني أتفهم كلامه وسألته:

ـ هو أنا بقالي قد إيه هنا؟

ـ خمس أيام .

خرج هو، فيما سرحت بخيالي في خمسة أيام قضيتهم نائم، وهل ما حدث لي هذا حقيقي أم أوهام كما يقول الدكتور، وإذا لم يكن حقيقي؛ كيف أتيت إلى هذه المستشفى؟ ومن الذي أوصلني إلى هنا، وما الذي حدث لأحمد صديقي، وجدتني أغمض عيناي وأذهب في النوم وأنا أرى أني عدت إلى الشقة، وجدت المعركة الكبيرة مازالت مشتعلة بين الرجال أصحاب الحلم الأول والرجال أصحاب الحلم الثاني.

-حزين ... حزين .

على صوت الحاج رُحيم، صاحب السوبر ماركت الذي في أول الشارع، فتحت عيناي.

- حمد لله على سلامتك يا حُزين يا ابني.

- الله يسلمك يا حاج .

- هو إيه اللي حصلك؟

- الباب خبط، روحت افتح ،لقيت كلب بيكلمني وبيطلب إنه يدخل عندي في الشقة ...وما حسيتش بحاجة بعد كدة.

- إيه اللي إنت بتقوله ده يا حُزين؟!

- هو ده اللي حصل وأنا عارف إنه ما حدش هيصدقني .

- لا يا بني أنا مصدقك أصل ... بص ... أصل ... أنا هروح أجيب اللي هيريحك، ويريحنا وأرجعلك!

- حاج رحيم ما تعرفش باب الشقة مفتوح ولا مقفول؟ لحسن أمي تنفخني!

- هيهيهيهيه لا ما تخافش ،الشباب بعد ما لقوك قدام باب الشقة قفلوها وجابوك على هنا.

تركني ورحل ... للأسف لثاني مرة نسيت أن أسأل عما حدث لأحمد!!

-آآآه يا بطني ...آآه.

كانت هذه من أحمد، يبدو إنه استفاق ناديت. عليه:

– يا هندي ... ياااأحمد.

– ....

– هو إنت هندي ولا الكلب؟

– كلب مين يا غبي ... أنا مش قادر أتكلم.

((كلب مين يا غبي)) بالتأكيد هو أحمد صديقي

سألته بشغف:

– أيه اللي حصل؟

– بعد ما طلعنا عندك الشقة، جبناك وطلعنا بيك على المستشفى، وأنا راجع لقيت كلب أسود شكله غريب ... آآآه ... واقف قدام باب عمارتك ... آه ... حاولت أمشيه، نط وعضني في بطني ... آه ... آه يا بطني.

– يبقى هو ده الكلب اللي كلمني.

- كلمك! ... آه يا بطني!!

دخلت الممرضة القصيرة وفي يدها نفس الحقنة وأعطتها لأحمد، الذي تألم من يدها مثل المرة الأولى، بعدها خرجت.

عاد الحاج رحيم ومعه رجل ستيني قصير يرتدي سروالاً وقميصًا غير مكويين، وفي وجهه شارب أبيض كَثّ، رغم ملامحه الطيبة ،لكن على وجهه الوجوم ونظراته بها حِدة، وجانب عينه اليسرى به زُرقة بشكل غريب، عرفت من الحاج رحيم أن هذا الرجل هو عم صبحي ،الساكن الجديد في البيت الكبير الذي يقع على ناصية الشارع ،وقال الحاج رحيم ليّ أنه الوحيد الذي يفهم موضوع هذا الكلب الأسود الذي أثار الذعر والرعب في الشارع، شرحت له ما حدث وما أتذكره في هذه الليلة ،وأيضًا حكيت كل شيء حدث منذ سفر أبي وأمي،القطة التي وجدتها عند حائط بيته، وحاولت مساعدتها بعلبة تونة ولكنها لم تأكل وجاءت الشقة إليّ وباتت، وثاني يوم جاءني كلب صغير وبات ليلته عندي، وثالث يوم جاءني هذا الكلب الأسود الكبير المُتَكلِم ،وحكيت له عن الأحلام الغريبة التي رأيتها ... صمت صبحي فترة ثم اقترب من عيني وكأنه ينفخ فيها!

-إنت بتعمل إيه؟! سألته بهلع.

أشار لي أن اصمت حتى يتأكد من شيء ثم تكلم:

-بص يا حُزين الحكاية وما فيها إن البيت ده كان ساكنه راجل ومراته أغنيآ جدًا، وكانوا عايشين مع بعض في سعادة لحد ما خلفوا طفل جميل، وهنا ظهرت المشكلة الطفل ده كان بيُصرخ طول اليوم بشكل غريب! بعد كدة لاحظوا إن الطفل ده لما بيطلع بره البيت بيبقى هادي وطبيعي فقرروا إنهم يعَزِّلوا من البيت ده، وإنت يمكن تعرفهم أو شوفتهم قبل كدة ...

- أيوه أعرفهم، بس ما حدش كان فاهم هما مشيو ليه؟

أجاب عم صبحي وأكمل حديثه ليّ:

-هما مشيوا بسبب أن البيت ده تقيل، والأطفال بس اللي بتحس بالتقل ده، ومابتقدرش تعيش طبيعية جواه ...

اعترضت ساخرًا .

-يعني معقول البيت ده هيكون أتقل من العمارة بتاعتنا الأربع أدوار، والأطفال فيها عايشين عادي هههههههه.

-تقيل يا عني مسكون بالجن يا حُزين .

كانت هذه من الحاج رحيم، انفتحت عيناي على آخرهما!

-........ جن ؟؟؟؟؟؟

اكمل عم صبحي كلامه:

- الراجل ومراته جابوا رقمي من خلال وسيط واتصلوا بيا عشان أساعدهم، ومن قبل ما ادخل البيت عرفت اللي فيه، وقعدت شهر أحاول أطرد السكان التُقال دول من البيت، بسايسهم عشان يطلعوا من غير ما يضروا حد، أو يعملوا حاجة في البيت لحد ما خرجوا، وكنت فاكر إني لما أطردهم بره البيت يبقى كدة احنا انتصرنا، بس العفاريت دول إتشكلوا في صورة حيوانات وقعدوا في الشارع ولما جولك كانوا طالبين سكن بدل اللي طلعوا منه.

- .... شعرت ببرودة في أطرافي رغم أننا في أغسطس، إذاً من أدخلتهم بيتي وكنت أنام بجوارهم وأحدثهم كانوا عفاريت!

تكلم الحاج رحيم:

-انت لما دَخَلت القطة طمعوا في الشقة وجِه بعدها الكلب، وبعدها الكلب المتوحش اللي عض تلاتة لحد دلوقتي، وواقف عند عمارتك مستنيك .

قفز قلبي من ضلوعي.

- مستني يُعضني !؟

أجاب عم صبحي:

- لا ما شاء الله جن مؤدب.

- عشان هما عندهم أصول وأعراف أحسن مننا كمان أنا عارفهم كويس.

- ....

- من الآخر الجن اللي في صورة كلب بلدي كبير ده كان عايز يلاقي مكان، ولما دَخَلت صِحَابُه عندك في الشقة اتشجع وحاول يستأذن، وبعد كدة إنت دخلت المستشفى وهو قاعد في الشارع، ولو حد قرب منه بيعضه، لحد دلوقتي عض تلاتة من بطنهم، ولو شاف زحمة أو ناس كتير بيختفي، ولو إنت رجعت هيرجع وهيحاول يدخل الشقة معاك، ولو رفضت ممكن يُضرك ... أو ما يعملكش حاجة ويعضك في بطنك بس.

- ودي بسيطة يعني؟!

- آه آه يابطني.

- كان هذا صديقي أحمد هندي.

- في حاجات أصعب من العض ممكن يحرقك أو يجننك أو ياخد حتة من جسمك، الموضوع أصعب من العض بكتير، ده غير العفاريت اللي انت دخلتهم ممكن في أي وقت لو ضايقتهم؛ ممكن يضروك ويظهر ليك وجههم الحقيقي.

- ...... ياعني أنا كدة خلاص ضعت؟! استطرد عم صبحي شرحه لمأساتي:

- بص يا حُزين ،الجن لما يسيب القبيلة بتاعته ويروح يعيش مع البني آدمين، غالبًا بيتشكل في صورة كائن حي بتبقى قوته من قوة الكائن ده، يا عني لو لبس قطة بيبقى قوته إنه يخربش بس، أما لو لبس بني آدم عجوز زي حلاتي مثلاً، بيبقى قوته محدودة مش زي لو لبس جسم شاب صغير يقدر يضرب ويجري، ولو الجسم اللي فيه الجن ده مات أو حد موته لازم ساعتها يخرج منه؛ لإنه هيتخنق جواه ويدور على جسم تاني، بس لازم الجسم التاني ده يكون غير مُحَصّن ؛عشان يقدر الجن يسيطر عليه.كمان في أنواع من الجن بيبقى عندها قوة زيادة، بتقدر تضيف قدرات للجسم اللي هي فيه ،زي مثلاً الجن بتاعنا ده قدر يخلي جسم الكلب اللي هو فيه يتكلم ويشتمك وهكذا ؛لإنه من قبائل الذادو، ودول التخلص منهم بيبقى

صعب أوي بس على مين أنا قدها ... دنا صبحي ... أما الأحلام اللي بتشوفها ده بيحصل بجد، بس دي كلها مقالب بيعملوها في بعض مش بجد يا عني هزار عفاريتي هههههههه.

هذا العم صبحي يتكلم ببساطة، كأنه يتكلم عن مجموعة من أقاربه وليس عفاااااااريت!!!!

تكلم الحاج رحيم ليشرح ليّ طريقة التخلص من هذه المأساة:

- الخطة دلوقتي بتتلخص في إن عمك صبحي هيدخل الشقة، ويقرا فيها القرآن والحاجات اللي بتصرف الجن، وإحنا هنقعد على القهوة اللي في أول الشارع ،ولمّا الجن الشرس يظهر في صورة الكلب الأسود هتروحله وتهدّيه، وتاخده على قد عقله، وتطلعه الشقة، وهيكون عمك صبحي موجود وناصبله كمين، تسيبه يتصرف معاه ويخرّجه بره الشقة والشارع وبكدة ينتهي شره.

- ثواني يا حاج رحيم ... إنت قولت إيه بعد جملة ((لما الجن الشرس يظهر))؟!

- ((في صورة الكلب الأسود هتروحله وتهدّيه)).

- قصدك إنت يا حاج رحيم اللي هَتْهَدِّيه صح ؟

- على عيني يا حَزين يا ابني بس أنا بخاف من الجماعة البُعدا دول أوي، وكمان مش ضامن رد فعل الجن الشرس ده لما نضحك عليه، إنت لسه شباب وممكن تستحمل أي حاجة.

- ....

- آه آه يا بطني.

هذا كان أحمد هندي يُبشرني!!

خَرَجْتُ من المستشفى أتمتم بكل آيات القرآن التي أحفظها.

جلست أنا والحاج رُحيم على مقهى في أول الشارع ،فيما أخذ عم صبحي مفاتيح الشقة وصعد ومعه مبخرة...

وكنا قد اتفقنا إنه عندما يستطيع التخلص من القطة والكلب اللي مش قطة وكلب. سيُكلمني على التليفون لأصعد له، وإذا حدث شيء سأتصل بالحاج رحيم ليصعد لنا.

بعد ثلاث ساعات من الانتظار رن عم صبحي عليّ، وكانت هذه هي الإشارة، تحركت، ولأن الإنسان في هذه الحياة لا يملك غير بطن واحدة؛ وضعت قطعت ورق من الكرتون المقوى ما بين

بطني وقميصي، دخلت العمارة على مهل، وفجأة ظهر من العدم الكلب الأسود كان ينظر إليّ بتودد فبادرته قائلاً:

- إزيك ... دنا بحبك جداً ... يلّاً نطلع الشقة!

صَعَدتُ، والكلب ـ اللي مش كلب ـ خلفي دخلت وفتحت الباب.

- اتفضل حضرتك ... وعلى فكرة في معلومة لازم تعرفها عني أنا ضعيف الشخصية، وأي حد بيقولي أي حاجة أنا بعملها وغير مسئول عن تصرفاتي والله!

دخل الكلب ـ اللي مش كلب ـ ودخلت أنا، رائحة البخور كانت تملأ أرجاء الشقة، بهدوء أغلقت الباب وتَسَحَّبْتُ إلى المطبخ وأنا أضع يدي على بطني، من خلف الستارة كنت أشاهد الكلب ـ اللي مش كلب ـ ينظر بذهول قبل أن أسمع صوت صبحي يقرأ آيات من القرآن، وهو يخرج من غرفتي ويتحرك ببطء ويقترب من الكلب فنظر الكلب ليّ نظرة لا تحمل الخير وفتح فمه وزمجر، أغلقت باب المطبخ عليّ من الداخل ويداي وعضلات بطني ترتجفان، بدأت أسمع عم صبحي يُردد شيء ما لا أفهمه والكلب ينبح نباح عالي مُخيف:

- هااااااو هاااااو هاااااو.

كان هذا صوت صبحي، فتحت الباب بحذر لأتعرف على ما يجري؛ فرأيت الكلب تحول إلى كتلة لهب على شكل كلب وتضاعف طوله مرتين، وصبحي يصرخ فيّ:

- إبعد إبعد ... يا حُزين إقفل الباب عليك ...إنت مش مُحَصَّن.

كان هذا قبل أن أشعر بسخونة شديدة بجانبي نظرت نحوها، فوجدت باب المطبخ يشتعل ويتآكل فابتعدت للخلف فأجفلني صوت أجش ليس له مصدر محدد يأتي من جدران الشقة الأربعة:

- عشان تعرف إني لما قولت عليك إنك ابن كلب كان عندي حق.

النظرية الرياضية تقول إنه بجمع الصوت الذي يتحدث الآن، بالإضافة إلى كلمة عم صبحي بأني غير مُحَصَّن ؛سيكون الناتج المنطقي إني لو كنت محظوظ ... سيأكل هذا الكلب بطني فقط !

مسكت تليفوني وطلبت رقم عم رُحيم قبل أن يرد عليّ، وجدت الكلب الأسود مرة واحدة خلفي، وهو يزمجر وينبح ويقترب منيّ،

أصبحت النار تشتعل في الباب من خلفي وهو أمامي ،لم أجد غير أن أستسمحه لعله يتركني:

- والنبي ياعمو أنا آسف بس بلاش بطني والنبي...

قفز مرة واحدة إلى بطني وعض الكرتونة، وسحبها وعندما شعر بأنها كرتونة؛ تَضَخَّم حجمه ثلاث مرات ونظر لرأسي التي أصبحت أدنى من رأسه واقترب، فأغمضت أنا عيناي ،وشددّت عضلات بطني ورددت الشهادتين، قبل أن أجد يد تمسك كتفي وتدفعني إلى الخلف بقوة فخرجت من المطبخ، كانت هذه يد عم صبحي، الذي اقترب من الكلب وقذف عليه بودرة بيضاء، فتراجع الكلب خطوتين إلى الخلف واصطدم برف الحِلَلْ الذي سقط محدثًا صوتًا مُدَوِيًا، لكنه تماسك من جديد ،وقفز بقدميه الأماميتين على صدر عم صبحي، ودفعه وهو ينبح إلى الحائط المقابل الذي كان خارج المطبخ بخمسة أمتار ليسقط عم صبحي مغشيًا عليه، ويعود الكلب الأسود . اللي مش كلب . ويرمقني بعينين يتطاير منهما الشرر قبل أن يقف أمامي، وأسمع الصوت من كل أرجاء الشقة ثانيةً:

-أنا خلاص هموت بس هموتك معايا يا ابن الكلب!

- طيب موتني بس ربنا يخليك ملكش دعوة ببطني!

لكن فجأة انفتح باب الشقة، وظهر الحاج رُحيم وهو يُكبر ويقذف في عينيه البودرة البيضاء، فزمجر ونبح، وحاول أن يقفز عليه، ولكنه نبح بحشرجة هائلة وبات حجمه يصغر ويصغر حتى انكمش بسرعة، وسقط على الأرض غير قادر على التحرك!

- إيه اللي حصل لعمك صبحي؟!

كانت هذه العبارة من الحاج رحيم بعد أن وجد عم صبحي يفترش الأرض؟

- الكلب خبطه في الحيطة، اطلب له الإسعاف، وخليهم يعملوا حسابي معاهم، كان هذا قبل أن يُظلِمُ كل شيء من حولي وأسقط على الأرض ثانيةً.

في المستشفى وعلى نفس السرير الذي كنت نائم عليه ،استيقظت على صوت وكأنه صوت أحمد هندي:

-آآآآآآآآآآآآه يا بطني .

فتحسست بطني لا إراديًا؛ فوجدتها سليمة وأنا أنظر ناحيته فلم أجده، وفجأة وجدت أمامي عم صبحي:

- عامل أيه يا حُزين دلوقتي ؟

- أنا كويس ...إنت كويس؟ ... الحاج رُحيم فين ؟

- أنا خرجت من أول يوم جيت فيه المستشفى وطردت العفاريت بره الشارع خالص، الحاج رُحيم كويس وكان هنا بيسأل عليك من شوية، وصاحبك أحمد حالته اتحسنت وطلع من المستشفى، على فكرة إنت هنا من أربع أيام، والحاج والحاجة جُمْ من العمرة، ووالدتك هنا، بس راحت تسأل على واحدة صاحبتها وزمانها رجعالك.

- إيه اللي حصل بالظبط ؟ سألته فأجاب عم رحيم بصوت الواثق المنتصر:

- أنا لما طلعت عندك الشقة، اتكلمت مع الجن اللي كانوا لابسين القطة والكلب ،وهما اقتنعوا وخرجوا بره، وبعد كدة بخرت الشقة ببخور ريحته ما بيستحملهاش الجن اللي من قبيلتهم، ولما جه الجِن المُفترس قريت عليه تعويذة خنقته، وبتأثير البخور خَلَّت الجسم اللي عايش فيه يضيق عليه ويلفظه، والنطنطة والحركات اللي عملها دي كانت زي ما تقول كدة حلاوة روح، وبعد كدة اختفى من شقتك، راح لبس جسم كلب بلدي كبير تاني، ولما أنا خرجت من المستشفى دورت عليهم ولقيتهم متجمعين مرة تانية في الشارع ،ومستنين مكان جديد يباتوا فيه، فأقنعتهم إنهم يسيبوا الشارع خالص في سلام بدون حرب، فاستجابوا ومشيوا .

- طيب هو إيه البودرة البيضا اللي رشتوها دي؟
- ده ملح مطحون ... بس الفكرة إنه بيدخل في عين الكائن اللي جواه العفريت؛ فيحرقها ويعطله.
- آها، وعشان كدة كنت بتنفخ في عيني أول ما شوفتني!
- لأ أنا ما كنتش بنفخ؛ أنا كنت بشوف إن كان في جن لبسك ولا لأ؛ أصل اللي ملبوس جانب عينه الشمال بيبقى أزرق.
- آها ياعني إنت كنت بتتأكد إني مش ملبوس ...إيه، إنت بتهزر صح؟ ... لأن إنت جانب عينك أزرق!
- هههههههه إنت عرفت يا خلبوص ... أيوه أنا جن صحيح ... بس أنا من قبيلة الزودو الطيبين مش بنضر حد ياعني، إلا لو حد أذانا أو رفضلنا طلب وهدفنا في الحياة أنا وقبيلتي إننا نحارب قبيلة الذادو الأشرار والراجل والست المتجوزين استدعوني عشان أطرد اللي ساكن بيتهم، فلبست عم صبحي اللي كان قاعد لوحده مفيش حد بيسأل عليه ونفذت مهمتي على أكمل وجه ولا إنت إيه رأيك؟ بطل أنا على فكرة لوحدي هزمت تلاتة في معركتين وبدون مساعدة من أهلي، بس على فكرة لو إنت ذكي كنت عرفت ده من الأول، هو فيه بني آدم يقدر على عفريت برضو هههههه بس برضو إنت ذكي.

- ....
- على العموم سيبك من الموضوع ده وخلينا في المهم ،أنا زهقت من الجسم اللي أنا فيه ده قصير ،وعجوز ،ومش عارف لا أجري ولا أطول الحاجات العالية بيه، وبصراحة أنا عايز ألبسك إنت وحاسس إن الموضوع اللي حصل ده هيكون بداية صداقة عميقة بينا، والأهم من ده شقتك حلوة أوي ... ها رأيك إيه ولا إنت ناوي ترفضلي طلب؟

دخلت أمي، ألقت السلام على عم صبحي. اللي ما طلعش عم صبحي. ثم صرخت في صرخة مدوية مجلجلة عابرة للزمان والمكان تقضي على الكائنات الحية في طريقها:

. مانت كويس أهُهْ يا زفت ... طبعًا عملت عملتك وبهدلت المطبخ وحرقت بابه، وروحت استخبيت في المستشفى ؛عشان ما تتعاقبش ... لكن والله أول ما الدكتور يكتبلك على خروج ، لأعاقبك وبالشبشب كمان.

- ....
- إلحقني يا دكتور الواد ابني باينه مات تاني !

●●●

حُزين ..في قصة حب

بعد تلميعة حذاء وبختين عطر سيجعلونني أزداد وسامة، نظرت في المرآة على كامل هيئتي، أنا الآن جاهز لمقابلة أجمل فتاة في عيني، أثقل فتيات جيلها (جوجو)، سأُضَحِّي من أجلها بأجرة تاكسي حتى لا أتأخر على موعدنا.

عندما وصلت إلى الحديقة، وجدتها تفترش الأرضية وتمسك بيديها ساندويتش هامبرجر كبير الحجم ومن حولها ثلاث قطط ينظرون لها بطمع؛ أن تعطي لهم شيء، اقتربت منها وحييتها باشتياق:

- جوجو ... إزيك.

ردت وهي تحاول إخراج صوتها بعذوبة من بين كمية الطعام الذي يُهرس بين فكيها:

- حوحو ... إتأخرت ليه؟ ... مخصماك.

- معلش غصب عني ... دنا حتى جيت بتاكسي ... وحشتيني موووت.

وهي تغمض عينيها خجلاً، وتقضم آخر قطعة في الساندويتش:

- وانت كمان ... كنت وفرت أجرة التاكسي وجبتلي ربع كنافة يغذيني؛ ده أنا مفتقدة السكريات من الصبح.
- معلش يا جوجو فاتتني دي المرة الجاية... قاطعتني:
- طيب حتى قوم هاتلي ساندويتش مربى بالقشطة عشان أسَكَّر بُقّي.
- هززت رأسي، وقمت واشتريت لها ساندويتشين كبيرين، وعدت لها، أخذتهم مني وهي متلهفة وممتنة:
- تسلملي ... تآخد حتّة؟!
- لا أنا هتفرج عليكي بس ..هي دي متعتي في الحياة هيييييييح .
- ااااه هو أنا حبيتك من شوية، مهو عشان شهامتك دي ... ثم غيرت الموضوع وسألتني:
- هتيجي تكلم بابا إمتى؟
- دنا أتمنى... بس خايف يُرفضني؛ أنا لسه في تانية تجارة وما كونتش نفسي!
- لا أنا بابي أوبل ميفد ...

نظرت لها بعدم فهم حيث تحدثها الإنجليزية بطلاقة، فأردفت توضح لي معنى كلامها:

- دماغه متفتحة يا عني وذوق ويهمه مصلحتي، تعالى كلمه واربطني؛ وأنا هستناك لو العُمر كله يا حوحو ... ولا إنت بتلعب بيا زيّ الصبيان الوحشين؟!
- لأ طبعًا ... خلاص هجيلكم بكرا ... عشان تعرفي أنا بحبك إزاي.
- إشطة هتروح منطقتنا، وتسأل على شارع (على الراوي) في أخره في قهوة دي بتاعتنا وهتلاقي أبويا ...

تلعثمت قبل أن تصحح كلامها.

سوري ... بابي مستنيك، انا هديله فكرة النهاردة ... بس أوعى تقوله إننا بنتقابل عشان ده صعب موت ... أومأت براسي موافقة:

- إشطة
- تسلملي يا حوحو بمناسبة القشطة، روح اشتريلي ساندويتش مربى من غير قشطة ..أصلها غيرت طعم المربى في بُقي.

- بس كدا ... عنيا.

- تسلملي يا حوحو.

في اليوم الثاني سرقت بذلة فرح أبي. هذه سرقة بيضاء لأقابل بها والد جوجو الأستاذ جوهر، ليتعرف عليّ وأمهّد ل موضوع زواجي من ابنته، دخلت المنطقة وسألت عن القهوة، أولاد الحلال دلوني على طريقها، فواصلت السير وأنا أنحرف مع الشارع يمينًا ويسارًا، حتى ظهرت أمامي يافطة (كافية البساتين) مكتوبة بالنيون القديم، طبعًا الآن تعتقد أني سأسأل عن الأستاذ جوهر، وأنا أيضًا كان هذا في خطتي بالضبط، لكني لغيتها بسبب ما رأيت ... وجدت بني آدم لا تؤاخذني على كلمة بني آدم هذه، في أواخر أعوامه الأربعين، ملامحه تكاد تتطابق مع ملامح جوجو، أنا بالفعل أحمق كان يجب أن أتوقع أن ثلاجتي التي أحبها . جوجو . لن يلدها إلا شخص. لا تؤاخذني في كلمة شخص هذه . بمواصفات مارد فَطُولَهُ يقترب من السقف ،وعَرْضَهُ يقترب من المتر ونصف، يجلس على طاولة خشبية، نعم على طاولة خشبية وليس كرسي عادي، وهذا من البديهيات حيث يستحيل وجود كرسي في العالم صنعه مصنع بشري سيسعه أو يتحمله، يجلس على الطاولة وهو يرتدي جلباب بلدي أسود ،وشعره واقف منكوش ،وكأنه هارب من أيام كفار غرابا عك.

بجواره الشيشة وكوب شاي، وأسفل الطاولة التي يجلس عليها يوجد منفاخ يدوي لونه أحمر، يمسك طفل بالكاد يُكمل العشر سنوات من عمره من ياقته، ويطوحه يمينًا ويسارًا وهو يصرخ فيه:

- إنت بتسرقني يا بن الـ(...) !خمس ساعات بتلف بالتوكتوك ما تكَمّلش الميت جنية؟

. يا معلم والله ما فيش زباين.

هذه كانت من الطفل وهو يصرخ ويحاول الخلاص من بين ذراعي الوحش.

- بص يا واد أنا هسيبك كمان ساعة، عارف لو مجبتليش الميت جنية كاملة؛ أنا هجيب أبوك من بيته وهنفخه بالمنفاخ ده، وأشار إلى المُنفاخ الذي أسفل طاولته، وهعلقهولك على باب القهوة دي ... يّلا أمشي .

مع هذا المشهد طار ذهني إلى ما تحكيه ليّ جوجو وهي تستخدم مصطلح (بابي) والبذلة التي أرتديها وعدم ملاءمتها لتكوين هذا الرجل. آسف. هذا المارد.

- بتبصلي كدة ليه يا كابتن؟ ... عايز حاجة في الليلة السودا دي؟!

هذا السؤال كان من فمه الغليظ، لكنه موجه لمن؟! لا يو

غيري أمامه إنه بالتأكيد موجه ليّ!!

. إنت شحات أطرش ولا إيه؟!!

حاولت أن أتمالك نفسي وأسحب نَفَس لرئتاي لعله يُشجع

على ما أنا مُقدم عليه.

– أنا حُزين وجايلك في موضوع عائلي ...

– آه هو إنت بقى... ومالك كدة مش على بعضك ليه..

شدلك كرسي واطلبلي موز باللبن وتعالى أقعد جنبي..

نظرت له بذهول، فرد علي:

– أنا صاحب القهوة ...آه ... بس إنت اللي عايزني ولا إيه؟

– لأ... من غير إيه طبعًا طلباتك أوامر يا عمي طلبت ل

موز وطلبت لنفسي شاي، وجلست بجواره فبادرني وأنا

أرتشف أول رشفة من الشاي:

– بص يا نتوس عين أمك ... ولا بلاش، بص يا كابتن أنا

وأنا قاعد مكاني هنا عارف الدبانة الكبيرة النتنة بتحط

بيضها فين ... هذه الجملة القذرة أتت وأنا أرتشف

من كوب الشاي؛ فتخيلت غصب عني شكل الذبابة

فاشمأزيت، وتركته وهو يستطرد بدون اهتمام وكأن جملته القذرة لم تؤثر عليّ.

– وعارف إنت بتقابل البت من قد إيه، وسايبكم بمزاجي، فمتلفش وتحور أحسن لك وانطق عايز مننا إيه، بدل ما أنفخك بالمنفاخ الألماني ده...

ابتلعت ريقي وأنا أنظر للمنفاخ الأحمر وقلت له بصدق:

– يا عمي أنا نيتي الجواز .

– كويس ... عندك شقة؟ تقدر تصرف عليها؟ طبعًا لا ... بقولك إيه معاك كام دلوقتي؟!

– نعم!

– معاك كام في جيبك إخلص؟

– ١٣٠ جنية.

– هتروح تجبلنا كيلو كباب صافي من أول الشارع وتيجي؛ عشان الكلام يحلو ... بس بسرعة.

لعل هذا اختبار ليحدد به إذا كنت كريم أم لا ... ولذلك عليّ أن أُضحي؛ حتى أنال رضاه رغم أنه لن يتبقى ليّ شيئًا،

ذهبت واحضرت له الكباب وعدت إليه، وكان في نيتي أن أحكي له خططي في المستقبل؛ حتى أستطيع إسعاد جوجو وتلبية كل احتياجاتها ليطمئن على مستقبلها معي.

أخذ مني كيلو الكباب ووضعه بجانبه... وبادرني:

- كنت بقولك تعرف تصرف عليها؟ طبعًا لأ، وشكلك عبيط كدة ومبهدل ... خُلاصة الكلام عشان مش فاضيلك روح جيب شقة، ومَهْر، وشَبْكَة بمِيت ألف جنية، وتلاقي شغلانة تأكّلْهَا منها وتعالى أخطبها، وقدامك مُهلة ست شهور، ولحد ما ده يحصل تقطع علاقتك بجوجو خالص ... عايز حاجة تاني؟

- حضرتك ده مستحيل يحصل لإني لسه قدامي سنتين على ما أخلص كليتي، ممكن تمد لي الفترة تلت خمس سنين ... ابتسم وهو ينظر لي بدهاء كأنه سيفترسني:

- لأ.

- طيب ممكن أفضل أقابلها عادي لحد ما تِتخطب؟

- إنت راجل إعمل كدة وأشار بيده إلى المُنفاخ.

- طيب ممكن كَبَابَايَة واحدة؛ أصلي كنت عامل حسابي إننا

هنتعشى مع بعض؟

- أنا كدا هقوملك .

- لا خلاص الطيب أحسن.

هذا الرجل زرع سكينة طولها خمسة أمتار في قلبي، سيتسبب، بحماقته في تفريق قلبين عن بعضهم، سيجعلني أتألم من فراق الفتاة الوحيدة التي أحببتها؛ ربما انحرف بعدها وارتكب جريمة قتل، أو أدخل مِصَحَّة نَفْسِيَّة، وربما أَكَوِّن ثروة كبيرة تجعل هذا الرجل يتذلل إليّ، ويأتيني لكي أتزوج ابنته ،وربما هي تحزن عليَّا وتزيد من جرعات أكلها حتى تتضخم وتتفجر، ويسير هو حافيًا بجلباب ممزق حزنًا عليها ... انتظرت حتى ابتعدت مدة كافية، التفت ورائي فوجدته يأكل من كبابي فزعقت بأعلى صوت عندي:

-يا رب يجيلك مغص .

عدوت وأطلقت العنان لقدماي ولم أتوقف حتى وصلت إلى البيت ... تلقيت مكالمة من جوجو وأنا أشعر بمرارة الفراق فخرج صوتي حُزين منكسر:

- ألو.

- ألو يا حوحو.

- ابوكي رفضني يا جوجو رفضني ... رفضني أنا بتقف
من جوايا ونسيت طعم الفرح ... يا جوجو . جاء صوت
متماسك:

- يا بني إنت هتقلبها دراما وأفلام ليه؟

- أمّال اعمل إيه يا جوجو دنا رَوّحت جري؛ عشان أبوك
دبسني في كيلو كباب وما كانش معايا فلوس مواصلا

- بجد ... طيب أنا هقفل عشان ألحق آكل!

- ......! ليكي نِفْس بعد ما مشروع جوازنا فشل؟!

- دي حاجة ودي حاجة تانية خالص ... يا عني افكر و
على معدة فاضية .هاكل وأكلمك اكون لقيت حل... با
يا جوجو.

- باي .

●●●

لم تُفلح مكالمتي مع جوجو بعدها في إيجاد حل... رغم أن
اقترحت عليها أن نتخلص منه عن طريق وضع سُم في كيلو كباب
آخر سأشتريه له، لكنها اعترضت (ده مهما كان بابي برضه يا
جوجو)، تشاجرت معها؛ لأنها تلوث لفظة بابي التي لا يمكن أن
تطلق على شخص مثله، إلا لو قارناه بعفاريت جهنم:

- المَعَلّم جوهر وبابي! إزاي يا عني يا جوجو؟

مش لايقة ... بابي دي بتاعت واحد برنس زي الأستاذ حسين فهمي، أو الأستاذ عزت أبو عوف مش راجل فاضله أربع كاوتشات وسلسلتين ويبقى كراكة... ردت وهي تعاتبني:

- لا حظ إن كلامك جارح ... وأنا مش ناقصة... جعانة أصلاً.

- بصراحة كل ما افتكر حركة الكباب دي مش بقدر أسامحه... يبدو أن كلامي جعلها تتذكر طعم الأكل فتهلل وجهها:

- الكباب كان جميل ...أنا لحقت آخر تَلَتْ حِتَتْ ... تسلم إيدك بجد!

- بجد عجبك؟!

- آه ...أوي ... أوي أَبْقَى آكلني كل ما يبقى معاك فلوس .

- عنيا يا عونيا...

أثنت رقبتها خجلاً:

- ما تكسفنيش بقى خليني أركز في الموضوع المهم.

– ها ... اتكلمي.

– عمي ماهر ... أنا كلمته في التلفون وهو قالي إنه هيكلم بابي بس عايز يشوفك الأول؛ عشان يتأكد من إنك إنسان كويس... قاطعتها باندهاش:

– مش ده اللي حكتيلي إن في حرامي دخل عليه ودبحه... قاطعتني باستنكار:

– تِفْ من بُقك ... التاني الله يرحمه عمي شاكر ... هما توءم شَبَه بعض أصلاً في الشكل والصوت وكل حاجة... ما كَانْش في حد يعرف يفرقهم عن بعض، وهما أكبر من بابي، وكانوا متعلقين ببعض جدًا وما بيسبوش بعض، وكل واحد منهم في حاله وغلبان في بعضه كدا، وده خَلّى جدي الله يرحمه لما بقى عندهم ١٨ سنة يقرر إنه يِخَلّي كل واحد منهم في شقة مستقلة؛ عشان يعتمدوا على نفسهم وعشان ما يعترضوش اشترى شقتين في عمارة واحدة، واحدة منهم في الدور التاني والتانية في التالت ... ومن حوالي عشرين سنة، وفي الليلة المشئومة دي دخل حرامي على عمي شاكر اللي في الدور التاني ودبحه... ساعتها جدي حس بالذنب؛ ومات بعدها بيومين وعمي ماهر

جاتله حالة اكتئاب، وما بقاش يخرج من شقته إلا قليل اوي، بس هو حد جميل غير بابي خالص انا واثقة إنه هيرتاحلك، وهيضغط على بابي عشان يوافق وبابي مش بيرفضله طلب.

– أروحله إمتى؟

– النهاردة الساعة (٧) ... خد العنوان أهُهْ.

دَسّت في جيبي ورقة بها العنوان.

– واوعى تتأخر عليه؛ عشان بينام بدري وكمان خده على قد عقله؛ عشان هو ساعات بيحكي قصص خيالية كدة ما تبقاش غشيم؟

– يا عني هو حد جميل ولا بيتخيل حاجات؟

– الإتنين .

– ......

فكرت في الأسماء الثلاثة جوهر وماهر وشاكر أسماء قديمة، وبما أن عمها ماهر لا يخرج من بيته إلا قليلاً؛ فغالبًا هو من الجيل القديم المُحَافِظ، لذلك فَرَقْت شعري من المنتصف ووضعت عليه فازلين وجدته بداخل علبة في المطبخ ... غالبًا أمي تخفيه

حتى تجعل شعرها لامع ... ارتديت بنطال أسود وقميص أبيض بدون الوان؛ حتى أكون جاهز لمقابلته، ويأخذ عني انطباع أنني أشْبِه شباب زمان وفي من بركاتهم، عندما وصلت وجدت رجل اربعيني أقرع، قمحي اللون ،عريض الصدر، يجلس بفانلة بيضاء حمّالات في بلكونته ويدخن سيجارة... ناديت عليه:

- عمو ماهر؟

هز رأسه موافقةً وسألني:

- انت حُزين؟!

-أيوه ...

- اتفضل اطلع.

قال جملته وهو يبتسم ... بداية جيدة هذا الرجل وجهه به بشاشة مطمئنة ... الآن عرفت جوجو وجهها بشوش لمن ... أخذت أصعد سلالم الدرج ثم وقفت أمام شقة في الدور الثاني العلوي، بابها أخضر غامق ،وسألت نفسي هل هو في الدور الثالث أي هذا الدور أم الثالث علوي؟!

هل أنزل مرة أخرى إلى أسفل وأتأكد منه أم أتصل بجوجو؟ لكنه فتح باب الشقة الأخضر وخرج منها ورحب بي:

- تعالى يا حُزين.

وجدته يرتدي قميص أسود وبنطال أسود ... غالبًا ذوق هذا الرجل وأدبه جعلاه يبدل ملابسه، ولا يقابلني بالفانلة البيضاء؛ احترامًا ليّ ، حَيًّاني ... ورحب بي بشدة وأدخلني الشقة ... الشقة مستطيلة الشكل، عندما تقف على الباب سترى أمامك في أقصى الجهة المقابلة البلكونة وقبلها هناك مساحة مربعة لاستقبال الضيوف موضوع فيها مقاعد أنتريه قديمة الطراز، وما بين البلكونة والجزء المربع يوجد غرفة موصدة وأخرى مفتوحة، كمية التراب كبيرة تغطي كل شيء في الشقة، وكأن لها ثلاث سنوات لم تنظف أو يدخلها أحد، فبدأ بالكلام يشرح ليّ:

- أنا عايش لواحدي عشان كدة الشقة بقالها كتير ما تتضفتش ... وحياة العزوبية صعبة يا بني عشان كدة لازم تتمسك بجوجو، وما تسيبهاش غير لما تتجوزها وأنا هساعدكم .

انشرح قلبي من هذا الكلام الجميل:

- يا سلام حضرتك يا عمي وفرت عليّا كتير أوي ... أنا بصراحة كنت بحسب حضرتك هتعاملني زيّ المعلم جوهر أخوك، بس فرق كبير بين معاملتك ومعاملته.

- يا حُزين صوابعك مش زيّ بعضها، وعلى فكرة بقى جو…
طيب، هو بس عصبي وشغل السوق خلاه ما بيثقش…
حد، لكن لما يبقى حماك هتحبه جداً دنتا ممكن تـ…
تشتكيله مني أنا شخصياً هعهعهعهعه.

- العفو يا عمي ... أنا بس عايزة يعرف ... إني بحب بنـ…
جداً... وروحت اتقدمتلها وأنا مش جاهز عشان محدش
غيري يسبقني.

- هيحصل وهتتجوزها وأنا بنفسي هكلمه... بس ... أنا ليَّ
عندك خدمة ؟

- إنت تؤمرني يا راجل يا جدع يا طيب يا ذوق.

أخرج سكيناً كبيراً ملطخًا بالدماء، ذا يدٍ صفراء من تحت
كنبة الأنتريه!

- إنت هتاخد السكينة دي، وهتطلع الشقة اللي فوق تخبط
عليها، هيفتح لك أخويا تروح مِكَتِّفُه وتدبحه بسرعة.

استمعت إلى كلامه وعلى وجهي ابتسامة إعجابًا بخياله
الواسع وقدرته على المزاح وقت الجد. هنا قطعت جوجو كلامه
برنة على تليفوني، رفعت له الهاتف، وأشرت له أنها جوجو تريد

ان تطمئن على موضوعنا، طلبت منه أن يحدثها كمفاجاة لها
ويطمئنها، ولكنه حرك رأسه رفضًا. رفعت التليفون على اذني
ورددت عليها:

- ايوه يا حُبي.

قبل ان اتذكر أن عمها موجود.

- أيوه يا جوجو ما تخافيش أنا قاعد مع عمك وفعلاً
زيّ ما قولتيلي، راجل كويس جداً ودمه خفيف بشكل...
قاطعتني وهي تصرخ فيَّ:

- الله يخربيتك عمي لسه مكلمني، وبيقولي إنه شاورلك
من البلكونة، وبعد كدة اختفيت روحت فين يا منيل، أكيد
دخلت عند حد غلط ... رددت عليها بثقة:

- يا بنتي إزاي مش عمك ده أقرع وعريض من فوق كدة
واسمه ماهر؟!!

أخذ هو المبادرة، وقال لي أنا مش ماهر أنا شاكر ... صَمَتُّ
بُرْهَة قبل أن أستجمع ما يقولوه وأفهم .

- آها ... حضرتك أنا كنت فاكر غلط بقى... كنت فاكر إن
شاكر هو اللي إتقتل!

- أيوه يا ابني منا القتيل.

ارتعشت يداي وسقط الموبايل مني على الأرض المُتسخة...

قبل أن أتمالك نفسي:

- حضرتك بتعمل فيا مقلب صح ؟

- يا ابني هو أنا أعرفك! طيب هثبتلك ...

أخذ السكينة وذبح بيها نفسه بسرعة؛ فطار دمه بغزارة على الأرض والمقعد المجاور والموبايل الساقط ... وأخذ يُكلمني وهو ينزف بسرعة، ولكن صوته هادئ كأنه يستجم على الشاطئ!

-ها اتأكدت إني القتيل؟!

هززت رأسي يمينًا ويسارًا وإلى الأعلى والأسفل ... أنا مش عايز أتجوز ... أنا هروح.

-يا بني إنت خايف مني ولا إيه؟ أنا روح... شبح يا عني مش عفريت فاهم؟

-انت فاكر إنك بكدة طمنتني؟

- ركز عشان فاضلي سبع ساعات بس وهرجع تاني ومش هنزل غير السنة الجاية...

- ؟؟؟؟؟؟؟؟

استطرد كلامه:

- أنا عايزك تدبح أخويا؛ عشان يموت بنفس الطريقة اللي أنا مُت بيها؛ وبكدة يجيني في نفس المكان ونعيش مع بعض.

- طيب روح قوله كدة ... إفرض هو ملوش مزاج يندبح!!

- مهو أنا خايف أظهر له؛ يموت من الخضة وده راجل عنده القلب ... وما نبقاش مع بعض لازم يموت بنفس الطريقة.

- خلاص إدبحه انت.

- ما ينفعش أنا شبح مش زومبي، ما قدرش أمَوِّت حد أنا آخري أجنن بس.

- واشمعنى أنا؟ ما أنا إنسان مش قَتَّال قَتَلَة!

- علشان إنت إنسان طيب وشهم، وأنا عايزك تتجوز بنت أخويا، وما فيش غيرك استأمنه على الموضوع ده.

قبل أن أجيب عليه قام من مكانه وأغلق رقبته التي كانت لا تزال تنزف بيداه، وكاني أشاهد فيلم لتوم جيري، وأشار لي بالخروج على الفور:

– إمشي دلوقتي واوعى تجيب سيرة لحد عن الاتفاق ده ... فاهم؟

– انت خلاص خليته اتفاق!!

– يّلا بسرعة اطلع بره ... وخليك فاكر إن الإنسان منكم يا دابح يا مدبوح، جريت ناحية باب الشقة فتحته وخرجت منه أركض ... قبل أن أتوقف وأجد أمامي جوجو بادرتني وأنا أنهج:

– كنت فين يا متعوس، وإيه اللي حصل ... سمعاك عمال تكلم نفسك يا آخرة صبري، وإيه المَايَّة اللي في بنطلونك دي؟

– مَايَّة ... مَايَّة إيه؟! ...آه دي عربية طرطشت عليّا ... هقولك بعدين تعالي نشوف عمك الأول.

صعدنا إلى الدور الثالث علوي حيث وجدناه ينتظرنا، كان بالفانلة كما رأيته في البلكونة استقبلنا بابتسامة وترحاب:

–هو انت روحت فين؟ ... مش أنا كنت بناديك زوغت فين؟ وبالّل نفسك ليه إنت طفل؟ وإيه اللي عامله في شعرك ده إنت عبيط؟

– اااااانا.. انا ...

– إنت هتتانا...

– ردت جوجو مكاني :

– هو يا عمي تاه على السلم ... والمَايَّة دي عربية طرطشت عليه .

– لأ ، أنا لما شوفته مَاكَانِتْش المَايَّة دي عليه ده أكيد عملها على نفس ...

رَفَعْت إِيدِي وغَمَزْت بعيني لكي يسكت :

– بنت أخوك واقفة جنبي ... استرني الله يسترك.

– استرك هعهعهعهعهع منا قولت ده أكيد شا...

– خلاص يا عمي فهمت ...

كانت هذه من جوجو ... قبل أن تلتفت ليّ وهي مشمئزة:

– أنا فهمت الله يقرفك، كانت هذه الجملة كفيلة أن أضعف، وأحكي لهما ما حدث:

- أنا بصراحة طلع لي شبح عمك المدبوح.

- ....

بنبرة حادة للغاية جاء جواب ماهر عم جوجو:

- يا عني غير إنك عبيط ...إنت كمان مجنون.

- مش مجنون؛ بالأمارة كان لابس أسود في أسود والسكينة اللي اندبح بيها كبيرة، والمقبض بتاعها أصفر...

تنهدت ... لألتقط نَفَسي قبل أن أكمل:

- كان عايزني أقتلك عشان تتقابلوا بعد كدة.

قام عمها، ووقف، ووجه كلامه لابنة أخيه وبغضب صرخ فيها:

- أنا أصلاً راجل حمار؛ إني سمعت كلام واحدة زيك وقعدت مع الحيوان ده ... إنتي تنسي الموضوع تماماً.

- وأنت قوم اطلع بره.

نزلنا من عنده أنا وهي، حاولت إثبات أني صادق ولست بكاذب أو مجنون:

- أنا هقولك على حاجة عشان تتأكدي ...أنا كنت بكلمك من موبايل وهو مش معايا دلوقتي، لإنه وقع مني وجه عليه دم بتاع عمك شاكر لما دبح نفسه قدامي...

- ....!

- ها صدقتيني؟

اشارت بيدها اليمنى على جيب بنطالي... وهي تستدير وتشيح بوجهها عني:

-حُزين، تليفونك في جيبك أهو!

وضعت يدي في جيبي وجدته، رفعته ولم أجد به آثار دماء ... استدرت وتركتها ... وصلت البيت، عقلي مُشتت ،استرجع ما حدث ،هل كانت هذه تهيُّؤات بسبب تأثري بقصة عمها المذبوح أم أن هذا حدث بالفعل؟ والأهم هل زواجي بجوجو بات مستحيلاً!

بعد ساعتين رنّ تليفوني برقم جوجو وعلى عكس المُتوقع، كانت سعيدة للغاية:

- حوحو... ليك عندي أخبار حلوة أوي... عمو ماهر كلم بابا وبابا قال هيديك فرصة تانية ... رديت بذهول:

- معقول ... ده عمك تقريبًا طردني؟!

- لا يا حُزين هو طردك فعلاً ... بس ما عرفش إيه اللي حصل ... ده حتى بابي كان بيتكلم عنك كويس دلوقتي ... أنا مش قولتلك بابي ما بيرفضش لعمو ماهر طلب...

بعدها مباشرة تلقيت مكالمة من رقم غريب ...

رديت:

-إزيك يا حُزين ...

هذا كان صوت الرجل المذبوح، الآن فهمت ما حدث هذا المذبوح اتصل بجوهر أبو جوجو، وأقنعه بيّ كعريس؛ حتى يجبرني ويبتزني لكي أذبح أخيه... لكن من الواضح أنه لا يعرف من هو حُزين؟!

- بص يا عم الشبح مش أنا اللي أخاف واتهدد، ولا يُمكن ابتزازي ... أنا حُزين لا أُشباح تهمني ولا عفاريت تلمني فاهم؟

- لا يُمكن ابتزازك ... ده بأمارة ما عملتها على نفسك يا فسل.

أحيانًا مواجهة الإنسان بالحقيقة تكون أصعب من إصابة بطلقة في الرأس .

- ....!

- عمومًا أنا ماهر، مش شاكر، وعايزك تجيني حالاً ... عشان موضوع جوجو وموضوع تاني.

- يا عني إنت مش شبح ولا روح؟

- هو في شبح بيتكلم في التليفون يا بني آدم!

- آه عندك حق، ربع ساعة وهجيلك بس تستناني على باب العمارة العجيبة دي ... اتفقنا؟

- اتفقنا.

استاجرت تاكسي وذهبت إليه، وجدته ينتظرني واصطحبني إلى الدور الثالث العلوي حيث شقته وكان حوارنا:

- بص يا حُزين أنا طلعت جدع معاك وكلمتك أخويا جوهر عشان موضوعك وطلب يقابلك تاني، وممكن أخليه يوافق على الجواز بكلمة واحدة مني إني أقوله أن دي وصيتي الأخيرة.

- وصيتك الأخيرة؟!

- مهو هو ده الموضوع التاني؛ أنا عايزك تدبحني.

- .... إيه؟!
- هَفْهِمَك؛ إنت بعد ما مشيت ظهر لي شاكر، وفهمني إنه بيظهر يوم الحادث من كل سنة، يزور المكان اللي اتقتل فيه، وبعد كدة يتعرف على أحوالنا ويرحل في سلام... أما المرة دي هو كان عايز حاجة... وقالي هو كان عايز منك إيه..وأنا مقتنع بكلامه وعايزك تنفذه وتدبحني.
- ؟؟؟؟؟؟؟
- إنت معايا يا حُزين ولا روحت حته تانية؟
- أنا ماقدرش أعمل كدة ... كانت هذه جملتي قبل أن ينفعل عليّ:
- ده مش بمزاجك ده غصب عنك ... شاكر قالك ما تقولش لحد، وإنت قولت وأنا اللي حايشه عنك ده غير إنك لو ما عملتش كدة؛ تنسى جوجو خالص ... أخرج من حقيبة جلدية سوداء السكينة الكبيرة ذات المقبض الأصفر الملطخ بالدماء.
- يلا يا حُزين استهدى بالله وقوم ادبحني!
- إنت متأكد من اللي بتقوله ده؟

- طبعًا أنا أخدت حبوب منومة، قبل ما إنت تيجي ومفعولها اشتغل هروح أمدد على سريري، وإنت تيجي ورايا وتتسحب براحة، وتروح غارز السكينة في رقبتي وبعد كدة تفصل الراس عن الجسم؛ عشان يحصل اللي حصل في حادثة أخويا بالظبط ونرجع نعيش مع بعض.
- بس لو أنا عملت كدة ... هتْشنِق أو على الأقل هدخل السجن وما حدش هيصدقني ومش هتجوز جوجو.
- ما تخافش أنا سايب ورقة بخط إيدي بتقول إني قررت الانتحار، وأجَّرْت قاتل محترف وبكده نبعد الشبهة عنك، ووصيت جوهر يجوزك جوجو...

يا عني أنا مسَهلك كل حاجة وبعدين يا سيدي هو مش من الحب ما قتل؟

- قتل إيه حضرتك ...أنا عصير الطماطم بخاف منه!
- أنا ما بحبش أقول الكلام مرتين إنت كدة مش هتوصل لجوجو؛ وهتتجنن ... وأنا ما بَهَدِّدش؟
- حضرتك أنا ما بستحملش أشوف حد بياخد حقنة قدامي؟

– وايه اللي جاب سيرة الحقن ... دي حاجة، ودي حاجة تانية، ما تخافش بس إنت قول ((بسم الله...الله أكبر)) والسكينة هتمشي معاك .

– ....! أحاول .

– ما فيش تحاول لازم تنفذ ... أنا هسبقك على الأوضة وإنت خمس دقايق وتيجي!

هززت رأسي موافقةً ... دلف هو إلى حجرة نومه... وبعد خمس دقايق دخلت وجدته ممداً على سريره ويغطي نفسه بلحاف سميك ... رفعت السكين عليه... وبدأت أقترب بحذر، فجأة رن تليفونه، فأصدر صوتًا مُزعجًا أفزعني ... لا إراديًا وجدتني أختبئ خلف الستارة ... رد بربع قوة وهو يتثاءب:

. إزيك يا جوهر... وحشني يا أخويا...أنا هبعتلك الشهادة بكرا وحاول تتصرف بطريقتك ... عايز تشوفني ... خلاص تعالى زرني بُكرا... بس اوعى تجيب معاك الواد المجنون اللي عايز بنتك ده... إيه؟ .. إيه اللي بتقوله ده؟!!... أنا كلمتك وقولتلك وافق عليه!!؟... إنت بتتخيل يا جوهر... ده ولد معوق... عمومًا دلوقتي سيبيني أنام ما تعكرش دمي وبكرا لما تيجي نبقى نتكلم... سلام .

تجمدت في مكاني ... ماذا يجري؟! وماذا يحدث؟! كيف يقول له هذا الكلام بعدما اتصل به وحاول إقناعه بالموافقة... بالتأكيد هذا فخ نصبه لي الشبح حتى أقتل أخيه ... شعرت بأحد ما خلفي، نظرت فوجدته شاكر أو شبح شاكر يبرق لي بعين مرعبة بيضاء تنير في الظلام، لا سواد فيها وهمس في أذني بحدةٍ أرجفتني:

- روح إدبحه.

أبعدته بيدي، وركضت خارج الغرفة، وأنا أصرخ: عا!!!!!!.

وصوت ماهر النائم على السرير يصرخ هو الآخر: حرامي عا!!!!!!.

ركضت حتى وصلت البيت وأنا أشعر أن أحدهم يُلاحقني ،نظرت خلفي فلم أجد أحد ... أخذت أفكر فيما جرى، غالبًا هذا الشبح هو من تنكر في صورة ماهر؛ ليدفعني بهذا الكلام إلى قتل أخيه، لكن هذه المكالمة فضحت كل شيء وعرفتني أن من كان يُحدثني هو شاكر الميت، وليس ماهرالحي... وأني كنت على وشك ارتكاب جريمة قتل، طرقت الباب فتحت ليّ أمي:

– واد يا حُزين كويس إنك جيت؛ ما شوفتش برطمان السمنة البلدي كنت حطاه في المطبخ؟

– .....!

●●●

هذه القصة العجيبة حدثت ليّ من سنة بالضبط، تفاصيلها لم تتآكل ولو لحظة واحدة من عقلي، من سنة، وأنا لا أعرف هل كان هذا حقيقي أم تخيلات؟! فمنذ خرجت من هذه العمارة لم اعد إليها أو إلى المنطقة مرة أخرى ... كما أني لم أحكِ لأحد حتى لا يتهمني بالجنون كما فعلت جوجو وأهلها... أما جوجو فاستسلمت لرغبة أبيها؛ وخُطِبَت، لم أكن أعرف أني كنت أسَمِّنُها لغيري!

ماذا؟؟ هاتفي يرن برقم اتصالات وآخره ٧٧ أعرف هذا الرقم جيدًا، إنه رقم جوجو، هل انفصلت عن خطيبها وتريد أن تُعيد قصة حبنا القديمة؟ في هذه الحالة سأصون كرامتي كما تقول أم كلثوم، ولكن عليّ الأول أن أرد عليها، وسوف أتظاهر أني نسيتها حتى أُشعرها أنها ليست في بالي وأن ألف فتاة غيرها تتمناني!

- ألو، مين معايا؟!

ردت عليّا بصوت منكسر:

- ألو.. أنا جوجو... نسيتني ...إنت فين؟ تعالى بسرعة أنا قاعدة عندكم في الشقة.

سأرد عليها بجملة تمنيت كثيرًا أن أقولها: (موضوعنا خلص إطلعي بره الشقة) .

- أنا جايلك جري يا جوجو.

عندما وصلت الشقة، فتحت أمي الباب قبل أن أسألها عن جوجو:

-إتأخرت ليه؟! ده الراجل أبو زميلك مستنيك من بدري، وقاعد يحكي مع أبوك... لم أتكلم، دخلت وأنا لا افهم ما يدور من حولي!!

وجدته ماهر أو ربما عفريت شاكر! نظرت له مذهولاً قبل أن يطلق أبي جملته:

- كدة تتأخر على الراجل يا حُزين، ده دَمُّه خفيف بشكل ... هو حكالك النكته بتاعت الإنسان يا إما دابح يا مدبوح قبل كدة؟!

- .....

نطق ماهر أو ربما عفريت شاكر وهو يبتسم ويجز على أسنانه وتبرق عيناه:

- أنا هَحْكِي هَالُه النهاردة... بالتفصيل المُمل .. دنا مستني اليوم ده بقالي سنة!

●●●

حُزين .. في القصر

طك طم طك طرااااااخ!

- لولولولوي ألف مبروك يا واد؛ قوم قبلت في شركة الأمن؛ وبقيت ظابط أمن قد الدنيا.

هذه كانت أمي وهي تفتح الشباك على آخره، ولا تحاول أن تسألني عن سر متلازمة أمي في دخول غرفتي، وبعدها فتح الشباك بكل هذا العنف والسرعة؛ مما يجعل الشمس تفتك يوميًا بعيناي!

لأني رغم أني ابنها وأعيش معها منذ زمن طويل، لم أجد تفسير لهذه الظاهرة، لكن لحظة، الأمر يستحق نظرة، أمي تقف بجواري ممسكة بيدها حلة وبيدها اليسرى شماعة هذا طبيعي، أما ما هو ليس طبيعيًا؛ أنها لا تضربني بشيء منهما أو حتى تطلب مني النزول لإلقاء القمامة أو إحضار الإفطار، بدأت استفيق، فأدركت أنها تَزُفُّ إليّ نبأ نجاحي في اختبارات شركة الأمن، وهذا كان سببًا كافيًا لأنتفض على غير العادة من النوم فرحًا بهذا الخبر، وأنهض لأذهب إلى الشركة لأعرف منهم الخطوة القادمة.

- بالمناسبة الحلوة ديّة؛ خد كيس الزبالة من المطبخ بسرعة وانزل إرْمِيه وتعالى.

-.........!

●●●

كنا قد رأينا إعلان لشركة بي تي إن لطلب موظفين أمن تقدمنا أنا وأصدقائي الثلاثة أحمد هندي وهيثم وإبراهيم.

وقامت الشركة بعمل اختبارات لنا ولكل المتقدمين، أنا وأصدقائي الثلاثة كنا من الناجحين، بعدها دربونا لمدة أسبوعين قبل أن يتم توزيعنا حسب رغباتنا على أماكن العمل، كل الأماكن المطروحة علينا كانت تتحمل فرد أمن، أو اثنين بالكثير ماعدا قصر مهجور كبير المساحة يحتاج إلى طاقمين حراسة، كل طاقم مكون من ٤ أفراد بحيث يُقيم ويبيت كل طاقم لمدة خمسة أيام في القصر، ثم أجازة لمدة خمسة أيام يتولى فيها الحراسة الطاقم الثاني، ثم يأخذ أجازة وهكذا دواليك، ولذلك هذا القصر رغم أنه بعيدٌ عنّا وفي منطقة نائية إلا أنه كان يُناسبنا، حيث تواجدنا مع بعضنا البعض في العمل مثلما كنا في الكلية، هذا القصر ظل مهجوراً منذ أيام الملكية؛ لأن صاحبته تركت البلد وعاشت في فرنسا منذ أكثر من ٥٠ عاماً، قبل أن تشتريه شركة فرنسية منها وتكلف شركة التامين بي تي إن بحمايته.

وقعنا العقد مع الشركة وحدد لنا العقيد سمير مدير الشركة- البَدين - يومًا لاستلام العمل، يومها نزلت من بيتي متحركًا إلى مكان تجمعنا الذي سنستقل منه المترو ونذهب إلى القصر، مُنْتشيًا بالعمل الجديد انتشاء ذكر بط مسكوفي يسبح في بحيرة ممتلئة بالأسماك، أما عن عدم ردي على مكالمات أصدقائي الذين يستعجلونني، كان أمرًا بديهيًا؛ فالضابط لا يرد على أحد.

كنت أرتدي زيّ الشركة، قميص بيج وبنطال بني، وقبعة، ورابطة عنق من نفس لون البنطال... فَرَدْتُ ظهري ورَفَعْتُ وجهي وتحركت بخطوات واسعة، ولكن بتمهل، نعم كما جاء في عقلك بالضبط، كنت واثق الخطى أمشي مَلِكًا، لم تثنيني ضحكات لئيمة، أو كلمات حاقدة من عينه:

- هتفضل طول عمرك تافه يا حُزين.

- ربنا يشفي.

أو قشرة يوستفندي يلقيها تلميذ في المرحلة الابتدائية، تخترق ياقة قميصي وتنزل مباشرةً داخل قفاي من استكمال سيري (الظباطي)، وصلت إلي أصدقائي وأخذنا المترو، حتى وصلنا منطقة القصر وانتظرنا مدة طويلة حتى ظهر لنا تاكسي، فاستَقَلّناه بعد أن أكد لنا أنه يعرف طريق القصر جيداً.

تحرك التاكسي سريعًا يقطع الشوارع الخالية تقريبًا، على يميننا كانت الزراعات، وعلى يسارنا كانت صحراء... وكان علينا اللحاق بطاقم الحراسة الأول حتى نتسلم منهم القصر كما طلب منا العقيد سمير، لذلك بادر إبراهيم وسأل السائق:

-لسه كتير على القصر يا سطى؟

أجاب السائق بثقة من لا يذهب لأول مرة:

-خلاص يا باشا ربع ساعة .

كان إبراهيم في الأمام يركب بجوار السائق يُمسك بيديه تليفونه ويُقلب فيه، أما أنا وأحمد وهيثم كنا محشورين في الكنبة الخلفية الضيقة، نستطيع بالكاد أن نتنفس وأنا كنت بين الاثنين ..أحيانًا أحقد على إبراهيم وأتمنى إن كنت ضخم الحجم مثله.

سَألَنَا السائق بفضول السائقين وهو يبتلع ريقه؟!

- معلش يا بشوات ... إنتو عايزين تروحوا هناك ليه ده قصر مهجور من سنين ؟

سؤال عادي كان المتوقع أن يكون الرد عليه عاديًا، لكن لأنني لم أعد عاديًا، مددت يدي وضربت على كتفه وأجَبْته بطبقة صوت أحمد ذكي في فيلم زوجة رجل مهم:

- خليك في حالك.

لكن هيثم نظر ليّ نظرة عتاب وأجابه:

-احنا من شركة بي تي إن ورايحين نأمن القصر...

تعجب السائق، وقال:

-برضو! أصل من كام يوم كدة وديت اربعة، زيكوا كدة، نفس المكان وقالولي إنهم من نفس الشركة ورايحين يُؤمّنوا القصر.

رد هيثم مفسرًا له:

- أيوه القصر محتاج طاقمين حراسة يبدلوا مع بعض كل خمس تيام.

- كتر خيرهم وخيركم بصراحة مين يستحمل اللي استحملوه واللي هتستحملوه.

نظرنا له كلنا بترقب... وسأله إبراهيم بصوته الأجش :

-قصدك إيه يا اسطى؟؟

رد السائق متعجبًا:

-هو انتو ما تعرفوش؟!

بدأ القلق يظهر علينا، فسأله احمد:

- نعرف إيه؟

- مالكم خفتوا ليه، أنا بس قصدي عشان القصر بعيد شوية، وفيه حاجات غالية بقى مطمع للحرامية وقطاع الطرق وولاد الكلب.

حذرت هيثم أكثر من مرة من التكلم مع العامة في الأمور الأمنية، ها هو هذا السائق يشكك في قدراتنا الأمنية.

نطق إبراهيم بصوتٍ عالٍ وكأنه يُطَمْئِن السائق ويُطَمْئِننا معه:

- ما تخافش أنا معاهم.

انحرف السائق في طريق طويل ظهر لنا في آخره سور القصر ،لونه رمادي باهت وبوابته سوداء عتيقة، اقترب التاكسي منها حتى توقف أمامها ... هَدَّأ سرعته وأوقف سيارته وقال وهو يبتسم :

- حمد لله على سلامتكم.

فتح كلٌّ من إبراهيم وهيثم وأحمد الباب ونزلوا، فيما أخرجت أنا عشرين جنيهًا للسائق، في البداية نظر لها ثم مسكها بطرف يده من بعيد، وأخذ ينظر لها بقرف كأنه اصطاد فأرًا، ثم قلَّبَهَا بين يديه كأنه يشاهد عُمْلَة لِجُزُرْ الزَّنْجِبَار، ثم صاح:

- إيه ده انا عايز ٤٠ جنية وابقى كارمكم غيري بياخد خمسين وستين، نظر له إبراهيم وهو واقف خارج السيارة، ورفع يده يهدئني قبل ان ارد على السائق وقال لي:

- ما فيش مشكلة أنا هتصرف يا حُزين ... الأسطى برضو تعب ولفّ جامد معانا.

استدار إبراهيم وتحرك ناحية شباك القيادة حتى أصبح يجاور السائق تمامًا ووضع يده في جيب سرواله، وأخرج منه جنيهًا معدنيًا دَسَّه في يد السائق وهو يقول له:

- تصرفهم في الخير إن شاء الله.

نظر له السائق قليلاً قبل أن يقول:

- إنتو باين عليكم نصابين.

- هنا أدخل إبراهيم رأسه في التاكسي وقال بصوته الأجش وبنبرة تهديد:

- مش عاجبك ولا إيه؟ لو مش عاجبك تعالى نطلع على أقرب قسم ولا تحب نحلها وديّ وخبط على دريكسيون التاكسي ... ظهر الخوف على السائق وهز رأسه على

مضض وهو يرجع للخلف... قبل أن يستدير وينطلق للأمام لكنه توقف وأخرج لنا رأسه وصاح:

هتروحوا مني فين دي الدنيا أوضة وصالة... والأشباح هتموتكم وهتيجوا عندي.

ثم انطلق، لم نهتم بما قاله ونظرنا أمامنا.

البوابة السوداء كانت مغلقة أعلى يمينها كان هناك جرسًا جديدًا، يبدو أن شركة الأمن قامت بتركيبه، ضغطت على زره... فيما كان إبراهيم ينادي على ((اللي هنا))، وأحمد حاول الطرق على البوابة لكن لا أحد يستجيب، قبل أن يرن رقم غريب على تليفوني استدرت ناحية الشارع واستقبلت المكالمة، الصوت لم يكن غريبًا عليّ وسألني:

- وصلتوا ولا لسه ؟

- أيوه وصلنا إنت مين؟!

- أنا العقيد سمير مدير الشركة.

- أيوه يا فندم... وصلنا بس ما حدش من الطاقم الأول موجود.

- الطاقم الأول انسحب النهاردة الصبح، من غير إذن والشركة حولتهم للتحقيق وهتتخذ قرار بفسخ عقودهم، شايف الشجرة الصغيرة اللي لسه مزروعة على يمين البوابة الحديد؟

- لا ... خالص يا فندم مش شايف حاجة.

- خلي وشك للبوابة يا أفندي مش للشارع... التفت وأنا اتعجب كيف يراني؟!

- أيوه يافندم شفتها.

- مدفون تحتها مفاتيح القصر... ادخلوا ووزعوا نفسكم زيّ الخطة الأمنية ولو في أي مشكلة كلموني... بالمناسبة في جنايني بيجي كل تلات تيام اسمه شاهين ،ده الوحيد اللي مسموح له يدخل مفهوم؟

- أوامرك يافندم .

وضعت يدي أسفل الشجرة وأخرجت المفاتيح وفتحنا البوابة ... وقفنا لثوانٍ ننظر لكِبَر مساحة هذا القصر كان عبارة عن حديقة مربعة ضخمة الحجم، يتوسطها مبنى دائري كبير عبارة عن فيلا من طابق واحد مغلقة بسلسلة وقفل كبير تحتل ثلث

مساحة الأرض، أطراف الحديقة الترابية بها الكثير من جذور أشجار الفواكه المُقطَّعة؛ جوافة وتوت ورمان وغيرهم، يصل بين البوابة السوداء الضخمة ومبنى الفيلا الدائري طريق طويل عرضه ثلاثة أمتار من الرخام الأسود، أما في نهاية القصر فيوجد بوابة حديدية سوداء صغيرة ربع حجم البوابة الأمامية تقريبًا ... وعلى اليمين كانت حجرة مبنية من الطوب الأبيض؛ بالتأكيد هي الحجرة التي سنبيت بها، ذهبنا لتفقدها فوجدنا بها أربعة أسِرة، وموقد نحاسي وثلاجة صغيرة وتلفاز قديم وحوض وصنبور وحمام صغير، مع كمية تراب وقمامة وقشر لب غير طبيعية... تساءل أحمد بدهشة عن كل هذا الاتساخ؟ وكان التفسير الوحيد المنطقي هو شاهين الجنايني أو طاقم الحراسة المُنسَحِب! الشركة نوهت علينا كثيرًا في مسألة النظافة؛ لذلك شَمَّر هيثم قميصه وقال:

- استعنا على الشقا بالله يا رجالة.

أزلنا كمية تراب رهيبة من الغرفة ومسحناها، كان على واحد منا أن يذهب ويشتري طعام العشاء، ولم تكن هذه مهمة صعبة رغم بعد المسافة إلى أقرب مطعم نحونا، لأن الثلاثة الآخرين بعدما يأكلون سيحرسون البوابتين حتى الصباح، فيما سينام من سيُحْضِر الطعام هذه الليلة وحتى لا نتشاجر مثل

الأطفال قررنا إجراء قرعة، وفاز هيثم بهذه المهمة، وذهب كل من أحمد وإبراهيم لحراسة البوابة الأمامية الكبيرة، وذهبت أنا لحراسة البوابة الخلفية، بيني وبين أحمد وإبراهيم ما لا يقل عن ٥٠٠ متر، بالإضافة إلى فيلا القصر الدائرية بيننا جعلتني منعزلاً عنهما تمامًا... كانت الساعة تقترب من العاشرة مساءً، وبدأت أتضوَّر جوعًا، رائحة الأرض هنا مميزة، تشعر أن تراب الحديقة اللين هنا ممتزج بشيء غير الماء لا أستطيع تحديده! فتحت البوابة الخلفية لأرى ما خلفها، وجدت أمامي مباشرة صحراء واسعة خاوية يوجد في آخرها جبل فوقه صخرة على شكل بني آدم، جعلتها النسمات الباردة والظلام وضوء القمر الخافت تبدو كشبح ليّ، على ذكر الشبح تذكرت كلام سائق التاكسي وهل كان يقول لنا هذا الكلام؛ ليثأر منا أم أنه قال الحقيقة، الرياح بدأت تشتد وجوعي أيضًا، فجأة دخلت إلى أنفي رائحة كفتة مشوية التفت خلفي لعله هيثم عاد بالطعام ...

لم يكن هناك أحد!

بدأ فأرٌ حجمه في حجم إبراهيم صديقي يُداعبني، أغلقت البوابة ووجهت ضوء كشافي إلى الأمام وناديت أتساءل:

- إنت جبت الأكل يا هيثم؟ ... لم يرد أحد!

لاحظت أن هناك صوت كيس بلاستيكي أو شيء مثله تحرك
الرياح. اقتربت بحذر وأنا أشعر برعشة في قدمي، في هذه الأثنا
رن تليفوني المحمول فاجفلت فزعًا:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

تلقيت المكالمة، كان الصوت لهيثم:

- ألو فينك ... سألته؟

- خلاص جاي أجبلك بطاطس مع الفول؟

- ...! فول ... بطاطس! هو انت لسه ما رجعتش؟

- أنا بقولك جاي خلاص.

- أنا تقريبًا في مشكلة؛ سامع صوت وشامم ريحة أكل وأنا واقف لوحدي ...و...

قاطعني وهو يضحك:

- يا جبان.

- لا أنا مش خايف، أنا ظابط ما بخافش، أنا بس قلقان على إبراهيم وأحمد.

- أكيد بتتخيل بسبب موضوع التاكسي. بص إنت الزَّق في البوابة ومالكش دعوة بحاجة.

ذهبت إلى البوابة وفتحت الباب، أملاً في الفرار؛ لو هجم عليا شيء، عدت أتأمل الصخرة لثوانٍ قبل أن أشعر بيدين غليظتين تمسك بي من أسفل قفصي الصدري فصرخت وأنا أقفز للأعلى:

- يما!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!.

- هههههههههه يا جبان.

استدرت فوجدته هيثم يضحك:

-أومال هتعمل إيه لو جُمّ حرامية يثبتوك، قلت وأنا أبلع ريقي:

هو إنت تعرف عني إني بخاف! ده بس الجوع مع الضلمة اللي مخلياني مش على بعضي، وبعدين قولتلك ميت مرة بطل مقالبك السخيفة دي إحنا في شغل هنا مش جايين نلعب.

- طيب يا مَعَلّم أكلك أهُه، وكفتة كمان، عشان ما تتحججش.

استدار وشرع في الرحيل... استوقفته:

- بقولك إيه ما تخليك معايا، النهاردة لسه أول يوم وفي شوية وساوس وأفكار كدة!

- مع نفسك يا مَعَلّم انا مقتول؛ عايز أنام يا جبان هههههه أومال فين الظابط والحس الأمني، إحنا كلنا عارفين إنك جبان وأول ما يجي شوية هوا هتسيب البوابة وتجري علينا هههههه.

- إمشي ...إمشي ولا يهمني .

تطلعت للجبل والصخرة من جديد وأنا جالس على كرسي أتناول عشائي، بعدها خرجت من البوابة أنظر إلى القصر من الخارج وأشاهد المنطقة المحيطة به لاحظت أن هناك بيت صغير من دور واحد قريب من القصر، لكن لم يتضح ليّ إن كان به ناس، أم خاوي مثل هذا القصر، هواء الخريف الجميل جعلني أسرح وحَرك في عقلي ذكريات أيام طفولتي والمدرسة وكيف كنت أقضي العيد، ويبدو أيضًا أنه حرك في أمعائي أشياءً أخرى فأغلقت البوابة وذهبت للحمام.

دقائق معدودة وكنت أتجه للبوابة من جديد، ولكني توقفت عندما رأيت رجل يتحرك على مهل، ويحمل في يده مصباح عمودي مما كانوا يظهرون به في الأفلام، يبدو أنه دخل من البوابة، اقتراب الرجل جعلني أراه بوضوح، رجل عجوز محني الظهر يرتدي جلباب صعيدي، يتحرك ببطء شديد، يبدو كأنه

والله أعلم ميت ويحمل بيده المصباح واليد الأخرى يضعها خلف ظهره، فكرت أني ربما لم أغلق البوابة جيدًا؛ فتسلل منها شخص تائه أو لص يمكن مواجهته، أو ربما هو شاهين الجنايني، في كل الحالات سأتصرف بمفردي؛ حتى لا يقول عليّ أصدقائي إني جبان، اقتربت منه بحذر وبلهجة الضابط الآمرة:

. وَقِّف عندك يا عم الحاج، هي وكالة من غير بواب، ولا بواب من غير وكالة هي؟!

نظر لي وهو ينهج والمصباح يرتعش في يده، وسألني بصوت رجل إما ميت أو سيموت بعد ربع ساعة:

- إنت مين؟

- انا اللي مين ؟! أنا ظابط ... ظابط أمن هنا ... إنت اللي مين؟ ودخلت هنا ازاي؟ وعايز تسرق إيه؟

رفع يده ليّ بمفتاح يطابق تمامًا مفتاح البوابة الخلفية الذي أملكه وأجاب:

- بالمفتاح ده... أسرق ربنا يسامحك يا بني، ده بيتي.

أنزل المصباح على الأرض وجلس بجواره وأخذ يبكي بصوت عالٍ كأنه طفل وهو يردد:

- اسرق أنا أسرق... انا أسرق .

- خلاص يا عم الحاج ما تزعلش بس إنت هنا ليه؟

- يا بني أنا كل يوم هنا!

- هو انت شاهين؟!

- رد على سؤالي غاضبًا:

- شاهين مين!! شاهين ده راجل بياخد فلوس على شغله اللي زي الزفت... إنما أنا صاحب مطرح.

- ممكن تفهمني بالراحة يا حاج.

- مش هعرف أتكلم وأنا رافع راسي كده يا تجيبلي كرسي يا تقعد جنبي .

جلست بجواره على الأرض:

- وادي قاعدة فهمني بقى.

- شوف أنا اسمي عمك داوود جيت مع فهمي باشا من الصعيد، فهمي باشا اللي كان صاحب القصر ده، الله يرحمه بقا كان شاريني بتمن غالي أوي...

- شاريك هههههههه، هو إنت من أيام العبيد والرقيق ههههههه !

- عديها عشان بتحرج أتكلم عن نفسي.

- حاضر ... كَمِّل.

- فهمي باشا كان من عيلة كبيرة؛ أبوه كان وزير أيام الملك، وكان معاهم جنيهات وأطيان يَامَا، وهو راح درس الفلسفة في فرنسا، بس لما رجع كان عنده إحساس إن أي حاجة يمتلكها مش بتاعته وهو ما تعبش فيها؛ وعشان كدة راح اشترى حتة أرض بعيدة عن قصر أبوه وصمم قصره الخاص، اللي هو إحنا فيه ده، بس برضه ده ما كفاش طموحه، وفضل عنده إحساس إنه ماعملش إنجاز في حياته، ساعتها وَاحِدْ -الأيام تسامحه بقا- شار عليه بقوة الجن...

انتفضت لما سمعت الاسم.

- مالك خوفت كدة ليه الكلام ده كان زمان، زمان أوي ما أنا معاك أهُه وما فيش حاجة.

- لا لا أنا ما بخافش من حاجة ... كَمِّل.

- فهمي باشا عرف منه إزاي يحضر القرين، بس ده ما كفاش طموحه برضه، وجاني في يوم وقالي يا داوود أنا هجرب حاجة لو نجحت هتغير تاريخ العالم كله، ولو فشلت يبقى نالني شرف المحاولة، وعايزك ساعتها تخلي بالك من الهانم الصغيرة والهانم الكبيرة، بس ما رضيش يقولي إيه اللي ناويه، وطلب مني إني أرافق مراته وبنته لحد العزبة في الصعيد؛ عشان يبقوا في أمان، وعزم ناس كتير من قرايبه وأصدقائه البشوات حتى الناس اللي بيشتغلوا عنده عزم منهم كتير، سبعين واحد شباب وبنات وناس كبار ومعاهم أطفالهم ،ده غير المجموعة الاحتياطي وعَمَلُّهُم حفلة في القصر ده، أنا كنت حاسس إنه بيدبر ليهم مكيدة؛ عشان يجمع القوة السحرية من دمهم، بس ما كنتش فاهم الموضوع بالظبط وما كنتش اتجرأ أسأله. ولما رجعت عرفت المصيبة (السبعين واحد ومعاهم فهمي باشا مقتولين)، الحكومة ساعتها خَبِّتْ الموضوع وقالت إنها حريقة، وما ريضيوش يسلموا الجثث لأهلهم؟

- ليه؟

- ليه! ...

- ليه إيه! مش بقولك ما كَانْش فيهم حتة واحدة كاملة، أكبر حتة فيهم كانت أصغر من صباعك الصغير.

- لا إنت ما قولتليش التفصيلة دي يا عم داوود!

- ما قولتلكش! معلش اعذرني يا بني السن بقى.

- قال لي هذه الجملة وهو يشعر بتأنيب الضمير.

- ولا يهمك يا عم داوود، كَمِّل.

- لإن مكانش في حته سليمة من أي جثة؛ الحكومة خَبِّت؛ عشان الناس ما تخافش من المجزرة دي، خصوصًا عشان كان في كلام إن الجن ليه علاقة باللي حصل، المهم بقى لأن فهمي باشا كان خيره عليا؛ نفذت وصيته بقيت أخلي بالي من مراته وبنته وبيته اللي في الصعيد، وكنت كمان كل مدة أسافر أشَقَّرْ على القصر ده، لحد ما قامت الثورة بتاعت الضباط الأحرار، وسافرت الهانم الكبيرة والهانم الصغيرة فرنسا، وأنا ما بقاليش من ساعتها غير القصر ده، لأنه في تحف ممكن تتسرق أنا خبيتها في أوضة سرية، بس برضو ممكن يلاقوها دول حرامية ولاد حرام، والأهم من ده الذكريات اللي بفتكرها هنا، أجمل خمس سنين من عمري كانت في القصر ده ، ولما اتقدم بيا

السن وما بقتش حِمْل المشوار سكنت في البيت الصغير اللي ورا سور القصر؛ عشان أبقى جنب القصر وأزوره كل يوم، يمكن حتى تكون شوفت البيت ده وانت جاي.

هززت رأسي تضامناً مع هذا الرجل العجوز الأصيل:

– أيوه شوفته من شوية.

– ومن كام سنة عرفت إن الهانم الكبيرة ماتت، ومن كام يوم عرفت إن القصر في شركة أوروبية اشترته من الهانم الصغيرة، وهيهدوه ويعملوه برج، على قد ما زعلت، على قد ما فرحت إن خلاص تميت رسالتي في الحياة.

أكملت له القصة:

– والشركة الفرنسية كلفت شركة الأمن اللي احنا بنشتغل فيها إنها تحرسه، وكلفتنا بالمهمة دي.

– إنت بتبكي يا عم داوود؟

– أيوه يا بني خلاص دي آخر أيام ليّا في القصر...

اقتربت منه ربت على ظهره:

– فرفش كدة ياعم داوود يا ريت الناس كلها مُخلصين زيك.

– تسلم يا بني.

– إنت جيت إمبارح هنا؟

– أيوه ...إشمعنى؟

– ما تعرفش طقم الحراسة اللي قبلنا مشيوا ليه؟!

– ما شوفتهمش بس هما أكيد خافوا، مهو في ناس كتير فاكره إن القصر ده مسكون!

فكرت لثوان وأجبته وأنا أشير للفيلا:

– هو مش بعد المجزرة اللي حصلت دي ممكن يكون القصر جوه مسكون بجد؟!

– هههههههه ما عفريت إلا بني آدم، وبعدين مش كل العفاريت بتِخَوِّف مهو أنا قاعد معاك حسيت بحاجة؟

– ....! ظهرت علامات الرعب على وجهي... طمأنني سريعً:

– هههههههه إنت خوفت صح، ما تخافش أنا بضحك معاك مش أكتر.

- والنبي يا عم داود بلاش الحاجات دي أنا لسه هيثم صاحبي عامل فيّا مقلب، رُكبي بتخبط في بعض ومش ناقص، ولولا إنت هتونسني للصبح كنت سيبت الشغل دلوقتي حالاً، دنتا القصة المرعبة اللي حكيتها دي مش هتخليني أنام أسبوع، ويمكن شهر كمان، كويس إن ما كانش في بقايا قتلا في الجنينة هنا؛ أنا كنت مشيت وقتي ويتحرق الشغل ... هو أنا ناقص؟!

كان يحدق في بثبات، وعندما أنهيت جملتي وجدته يضحك بقوة لم أرى مثلها في حياتي، وكأن روحه أوشكت على الصعود من الضحك:

- هههههههه ، ضحكتني يا ولدي لا بجد هههههههههه.
- هههههههههههه.
- على فكرة المجزرة، هههههههه، ما حصلتش جوه خالص، هههههههه، دي حصلت في الجنينة، هههههه.
- هفهمك يا بني، فهمي باشا طلب من مهندس بلجيكي مشهور يُصَمّم له مفرمة ضخمة بتشتغل بالكهربا، من اللي بيحطوا فيها الجاموسة تطلع بلوبيف، دفع فيها جنيهات كتير، وبناها المهندس في الجنينة ... ثم أشار

بيده على مكان خلف الفيلا وأكمل:

- كانت هناك بالظبط، قبل ما الحكومة تصادرها، فهمي باشا كان مغطيها بقماش ملون؛ عشان ماحدش يشك في حاجة، طبعًا دي كانت من الشروط عشان (عذابات) المخلوق اللي فهمي باشا بيحاول يستدعيه يقبل التضحية بالدم، إن ما يبقاش في حتة واحدة سليمة من أي قتيل، وبعد ما الخدم السود قتلوا المعازيم بسكاكينهم، شغلوا المفرمة وحطوا فيها الجثث، جثة وراها جثة لحد ما كل الجثث اتهرست ... شايف كل المساحة اللي احنا قاعدين فيها دي، ما بقاش فيها شبر واحد خالي من دم أو لحم أو عضم، أو حتى سنان بني آدم هههههههه، طين الأرض شرب الدم وبقى طَعْمُه وريحته جميلة زيّ ما انت شايف.
- هههههه، لا ما تهزرش بقى يا عم داوود إنت مش شايفني مخضوض خِلْقَة!
- أنا ما بهزرش إنت مش شامم ريحة التراب اللي اختلط بيه الدم والعضم واللحم بتاع البشر، ريحته جميلة إزاي إنت مش شامم؟! دي في الحته اللي إنت قاعد عليها بالظبط كان مكان عضم وشّ جولفدان هانم فخري هههههههه.

كنت أنظر له بشيء من الريبة الممزوج بخوف، وأنا لا أعرف إذا صدقته هل أبكي أم أهرب جاريًا؟!

- إنت مش مصدق صح؟ أنا هثبتلك.

مد يده ناحيتي وأمسك حفنة تراب لين من تحتي ووضعها في فمه وابتلعها!

شوف طعمه جميل إزاي، ده الطين مع الدم بيدي قوة، مسك حفنة تراب أخرى ووقف أمامي بعدما تضخم جسده وانفرد ظهره في غمضة عين وكأنه عفريت، وقذفها على وجهي:

-دوووووق وش جولفدان هانم ده مُغذي هههههههههه.

- عاااااااااااااااااااااااااه .

ركضت كالفرخة المسلوقة بعيدًا عنه وأنا أصرخ، حتى وصلت إلى البوابة الأمامية الكبيرة، لم أجد أحد من أصدقائي لكني وجدت فتاة صغيرة وجهها شديد البراءة، ترتدي فستان أبيض، شعرها مقصوص، تشير لي ناحية باب مبنى الفيلا الدائرية، نظرت له وجدته مفتوح وإضاءة ملونة تخرج من بابه، نظرت خلفي فلم أجد الرجل العجوز، قررت أن أتخطى الطفلة وأغادر هذا القصر الملعون، وهنا حدث لي أغرب مشهد في حياتي وكأني

أصبحت داخل فيلم خيال أمريكي، لقد حدث كل شيء بسرعة رهيبة، فمجرد أن عدت ببصري إلى الفتاة الصغيرة وجدتها تنقسم وتتحول إلى عشرات الفتيات الصغيرات اللاتي يحاصرونني قبل أن تتحول كل طفلة منهن لرجل ضخم أسود عاري الصدر يمسك بسكين، ثم وجدت هؤلاء الرجال يحيطون بي، وينظرون ليّ وهم يقتربون مني بخطوات سريعة ويجبرونني على أن أتخِذ طريق واحد ناحية باب الفيلا الدائرية:

-هاااااااااااار أسود يالهووووووووي

صحت بها كَسَيِّدة تصرخ، وهي تتجه لكشك الولادة، وأنا اندفع ناحية الفيلا، دخلتها فوجدت أمامي إبراهيم، وعلى مقربة منه كان هيثم وأحمد، والثلاثة موجودون بالداخل، يرمقون بذهول ما يحدث أمامهم من خلف لوح زجاج شفاف يمنع تقدمهم، نظرت خلفي فلم أجد أحدًا من الرجال الذين كانوا يحاصرونني!

عدت أنظر إلى ما في داخل القصر، إلى حفلة كبيرة، حيث صوت الموسيقى الغربية القديمة ينبعث من جرامافون عملاق، سيدات في فساتين سهراتهن السوداء والزرقاء والحمراء والبُنِّية وقصات شعرهن جميلة فريدة، رجال في بِدَلِهِم السوداء اللامعة، وقمصانهم البيضاء، وأحذيتهم القيمة الثقيلة يرقص بعضهم

وينقسم الباقي في مجموعات يتسامرون ويضحكون، القاعة نظيفة للغاية، ورائحة العطور فواحة جميلة، الكعكات والمخبوزات والعصائر والمشروبات كثيرة، وشكلها لذيذ وطازج، رمقتهم لدقائق كأنني أشاهد فيلم أبيض وأسود ملون، حتى كلمني إبراهيم وهو يرتعش:

- إحنا طلِعْلِنا رجل عجوز حَكَلْنَا عن مدبحة حصلت في القصر وكان عايز يأكُلْنَا التراب؟!

- أنا كمان طلِعْلِي نفس الراجل ... مين الناس القديمة دول؟؟ سألته.

- دول تقريبًا الناس اللي كانوا في الحفلة.

- اللي اتفرموا؟!

- آه.

- أنا خايف يا إبراهيم.

- ما تخَافْش أنا معاك.

- ما أنت شكلك خايف برضو.

- لأ...أنا مرعوب!

هنا قرصت يدٌ ما شحمة أذني، بينما صاح إبراهيم في نفس الوقت:

- إبعد إيدك عني.

- مش إيدي! قولت له.

وقد شعرت بشعر سلسلة ظهري يتساقط من الخوف، نظرنا خلفنا فوجدنا سيدة عجوز:

- عااااااااااااااا.

- آاااااااااااااه.

- ما تخَافُوش يا ولاد أنا خالتكم أم شنكول، كلها نص ساعة وكل حاجة تخلص.

- إيه اللي هيخلص ... هنموت؟ سألها إبراهيم.

- بعد الشر عليكم، دي حفلة أسبوعية روتينية يا عني، كل يوم إتنين بتتعمل بمناسبة ذكرى الناس اللي إتقتلت، وبيحصل فيها نفس اللي حصل زمان بالظبط؛ شوية كدة وهيطلع فهمي باشا يعلن عن وصول الكولونيل (عذابات كراوية وجيشه من السفر، اللورد (عذابات) اللي هينقل قوته لفهمي باشا مقابل تضحية الباشا بدم سبعين واحد من قرايبه

وصحابه، ويبدأ الحراس السود يموّتوا في الناس، وبعدين يطلّعوهم الجنينة ويفرموهم، وأول ما يبدأ الحرس يقتلوا في المعازيم، الحرس اللي بره هيمشوا، وترجع كل حاجة طبيعية وتقدروا تروحوا بيوتكم، أو تقعدوا زي ما انتو عايزين. الموضوع مش هيزيد عن نص ساعة.

- هنمشي ..هنمشي.

هذه كانت من إبراهيم، سألتها:

- يا حاجة هو انتي ما موتيش معاهم .

- لا أنا كنت من المعزومين الاحتياطيين ؛ عشان لو حد ما جاش، بس كلهم جُمّ وكلهم اتقتلوا واتفرموا.

- يا عني إنتي عايشة وما موتيش معاهم؟

- لأ ... تف من بقك ... أنا مت بعدهم.

..............!!!!

!!!! ....

-حد فيكم يمسك الشنطة دي عشان تقيلة عليا، وما ينفعش أنزلها على الأرض دي مستوردة.

حمّلت عنها الشنطة:

- ربنا يخليك يا ابني ويخليلك أمهاتك.

- أمهاتي مين يا حاجة، أنا معنديش غير أم واحدة ويا رب أرجعلها!

- يا ضنايا يا ابني ... إنت معندكش غير أم واحدة! مع ان شكلك ابن ناس وطيب، صحيح يدي الحلق للي بلا ودان.

قالت هذه الجملة وهي تنظر لأذني فتحسست أذني اليسرى، وبعدها اليمنى لربما تكون صادقة في كلامها!

رانت قاعة القصر مرة واحدة بصمتٍ عميق، وخرج علينا رجل أبيض له عيون زرقاء، شعره مصفف على الجنب، يرتدي بالطو أسود، ووقف في منتصف القاعة وبدأ يتحدث:

- يُشرفني يا سادة إنكم تحضروا حفلتي المتواضعة بالنسبة لمقامكم المجيد، وعشان كده أنا عاملكم النهارده اكبر مفاجأة في حياتكم مش هتنسوها أبداً هنروح مع بعض عالم الخلود، عالم المجد والقوة عالم الكولونيل (عذابات بن كراوية)، ثم نظر إلينا وهو يُكلم السيدة التي خلفنا:

- حاضر يا ست أم شنكول الصبر بس... اللي انتي عايزاه.

واستكمل كلامه للمعازيم:

- بس الليلة دي أنا مش هضحي بيكم زي كل مرة، احنا كلنا هنضحي بسكان القصر الجداد اللي واقفين عند الست أم شنكول، التفت إلينا المعازيم، بينما بدأ يظهر لكل منهم عين ثالثة في نصف جبهته، وقرنان صغيران فوق رأسه.

ووجدنا أم شنكول تكشر فينا وقد ظهر لها عين وسط جبهتها، وقرنان صغيران فوق رأسها هي الأخرى، هل تسمع عن سرعة الضوء؟! إذا لم تكن تعرفها فاعلم أني جريت بها ومعي كلاً من إبراهيم وأحمد وهيثم، اندفعنا نحو البوابة الأمامية للقصر وخرجنا منها ونحن نصرخ، ولكننا وجدنا أمامنا الرجال السود، وكل منهم يُمسِك بسكين كبير، حاصرونا في الشارع وأجبرونا على الذهاب إلى اليسار، سمعنا صوت شخص آدمي يُنادي وهو يفتح باب بيته، الذي يتكون من طابق واحد والذي كنت قد رأيته عندما خرجت من البوابة الخلفية، وزعم داوود أنه يسكن فيه:

- تعالوا هنا ما تخَافُوش قبل ما تموتوا.

لم يكن أمامنا غيره، دخلنا البيت... كنا ننهج، طَمْأَنَنَا:

-أنا بني آدم طبيعي زيي زيكم ما تخافوش واسمي فتوح استريحوا، خدوا نفسكم، أول الفجر ما بيأذن كل دول بيختفوا!

جلسنا عنده ونحن متوجسين أن يكون واحداً منهم قبل أن يسأله أحمد:

- هو صحيح اللي حصلنا ده؟!

- أيوه صحيح ... من ساعة الحادثة بتاعت المفرمة دي ما حصلت وجَهْ المخلوق ده اللي اسمه (عذابات) من العالم بتاعه بعد التضحية بتاعت السبعين دم، ولقى فهمي باشا مقتول، وهو سكن في القصر وأي حد بيدخل القصر بيعمل فيه كدة...

دخلت علينا فتاة صغيرة وهي تفرك في عينيها، بادرها فتوح والذي على ما يبدو أبوها:

- معلش يا حبيبتي إنتي صحيتي من الصوت، عموما كويس؛ عشان إنتي نمتي من غير ما تتعشي، سلميّ على ضيوفنا، دي نورهان بنتي.

سلمت الفتاة علينا، سلمت عليها رغم أن يدي كانت مرتجفة وتتصبب عرقًا.

- خلي ماما تحضرلنا العشا وقوليلها عندنا أربع ضيوف.

- ملهوش لازمة التعب ده . قال له هيثم.

- إزاي تلاقيكم على لحم بطنكم من إمبارح، دي حاجة بسيطة انتو بُخَلاً ولأ إيه؟
- هو فهمي باشا مات إزاي؟ سأله أحمد.
- في ناس بتقول إن فهمي باشا لمّا شاف المجزرة اللي حصلت؛ ما استحملش المنظر، فندم على اللي عمله، ودخل بنفسه في المفرمة، وناس بتقول إن الحراس السود اللي فهمي باشا اشتراهم من بلد في إفريقيا؛ عشان العملية دي مخصوص هما اللي غدروا بيه، وعملوا كده وسرقوا الدهب اللي كان في القصر قبل ما يهربوا على بلدهم، بس القصة الأولى اللي متصدقة أكتر، ومن ساعتها (عذابات) سكن بجيشه هنا ...

سأله إبراهيم:

- طيب وانت إيه اللي مقعدك وسطهم؟!
- أروح فين يا أستاذ ده بيتي وبيت عيلتي، هما اللي بيمشوا مش إحنا وبعدين هما في حالهم وإحنا في حالنا محفوظين منهم ومحفوظين مننا، هما ملهمش علاقة غير بالقصر، لو حد دخله حرامي أو زبون عايز يشتريه أو حارس زيكم يطفشوه، أو يِحَفّلوا عليه زيّ ما عملوا معاكم كدة.

- يِحَفّلوا علينا!

نطقها أحمد بتعجب، قبل أن يشرح له فتوح معناها:

-أصل برضو بيقولوا إن الكولونيل (عذابات) لما جهْ، وملقاش فهمي باشا لأنه كان انتحر أو اتقتل، حَبْ يرجع لشغله وحياته، لكن أهله وعشيرته رفضوا؛ فحس بنوع من الإهانة واتصدم وده اتسببله في لطف في دماغه وبقى يمشي يكلم نفسه، وبقى يعمل مقالب في أي حد يدخل القصر، ويقعد يضحك زيّ العيال الصغيرين!

قطعت حديثنا سيدة تدخل علينا يبدو أنها زوجته:

- مساء الخير.
- مساء النور أهلا وسهلاً. رد إبراهيم عليها التحية فيما ابتسمنا نحن لها نحييها .
- خمس دقايق بالظبط والأكل يكون جاهز.
- والله ملوش لازمة التعب ده يا مدام... كانت هذه منيّ مجاملة، في الحقيقة أنا كنت ميت من الجوع.
- لأ إزاي، ما تقولوش كدة ده واجب، تلاقيكم ما كنتوش تعرفوا بالموضوع المهبب ده.

- آه اتصطدمنا يا مدام ... دنا لسه مش قادر أصدق إن ده حقيقي، ومتهيألي إني بحلم.

- معلش تجربة وحشة وعَدّت على خير المهم إنكم كويسين.

ثم وجهت الكلام لزوجها:

- تعالى يا فتوح شيل الصينية، دخل زوجها إلى الممر المؤدي إلى المطبخ، وعاد بصينية كبيرة عليها إناء واحد معدني كبير، وحوله سبع أطباق فارغة، وضعها على طاوله خشبية ثم نادى علينا:

- تعالوا ...اتفضلوا.

جلس هو وابنته وزوجته، قبل أن ننضم لهم، مدت الزوجة يدها وأزاحت الغطاء عن الإناء قليلاً، وغرفت في طبق ابنتها طين لين رائحته دماء!

- كُلي طبقك كله يا حبيبتي!

- حاضر يا مامي.

تَسَمَّرْنَا نحن الأربعة أمام هذا المنظر، بينما قربت البنت الطبق من فمها وابتلعته على مرة واحدة، قبل أن تغرف الأم مرة أخرى من الإناء وتضع لزوجها طين لين عليه شيء أسود يشبه حدقة العين:

-عارفاك يا حبيبي تموت في عيون جولفدان هانم ...اتفضل.

ثم رفعت الغطاء بشكل كامل عن الإناء ونظرت لنا وهي تبتسم ابتسامة الساحرة الشريرة:

-انتوا ما بتكلوش ليه؟! أكلي مش عاجبكم؟! فيما ابتلع الرجل ما في طبقه على مرة واحدة هو الآخر.

- ممكن نمشي؟

كان هذا السؤال من أحمد وهو ينظر للرجل، أنا لم أعد أشعر بقدمي ولا بأي شيء في جسدي.

تكلمت الطفلة، ونظرات الخبث في عينيها والضحكة الصفراء على شفتيها:

- شكل أكلنا مش عاجبهم يا بابي!

- لأ إزاي يا حبيبتي هما عارفين إحنا بنحبهم إزاي، تلاقيهم بس مكسوفين، يا أم نورهان إعزمي عليهم كويس.

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أصرخ بأعلى صوت صدر مني في حياتي:

-انت طلعت منهم؟!!!!

استقبل الرجل صرختي المتوترة بقهقهة شديدة وانفرجت أساريره فأكملت:

- طلعت منهم يا ويسخ يا ويسخ...

أدخلت الأم يدها في الإناء وأمسكت بالطين وكورته وأخذت تقذفه علينا ثم فعلت الإبنة مثلها، وقذفت كورة من هذا الطين الدامي في أنفي، فصرخت من الألم.

-كُل ده جميل دي فخاد جولفدان هانم فخري.

قالها الرجل ليّ وهو يستمر في قهقهته ويمسك ببطنه من شدة الضحك وأنا مستمر في شتمه وأنا أصرخ :

-طلعت منهم يا واطي، يا أوطى عفاريت المَجَرَّة... يا ويسخ يا ويسخ.

يدٌ غليظة جذبتني بقوة من كتفي عرفت فيما بعد أنها يد إبراهيم، كان يشدني لأخرج معهم من هذا المنزل.

خرجنا وكرات الطين الممزوج بالدماء تتطاير خلفنا، ركضنا حتى وصلنا إلى الطريق الرئيسي، وتابعنا الركض حتى توقفنا من التعب، لا يوجد أي أحد أو شيء حولنا غير الصحراء والزراعات وضوء الفجر قد بدأ يظهر. قال أحمد وهو ينهج:

- يلا يا جماعة نكَمِّل، ما تقفوش لازم نبعد عنهم لحد ما نلاقي أي حاجة توصلنا. صاح إبراهيم:

- مش قادرأتحرك سنتيمتر واحد.

- إحنا شكلنا تُهنا... قالها هيثم وهو يحاول الربط بين أنفاسه المتقطعة.

- ....

فجأة سمعنا صوت سيارة من خلفنا، ارتجفنا ونظرنا؛ فوجدنا سائق التاكسي الذي قام بتوصيلنا إلى هذا القصر الملعون، أبطأ سيارته وتوقف وأخرج رأسه من الشباك وبادرنا:

عرفتوا بقى إن الدنيا صغيرة ومسيركم تحتاجوني، هتركبوا ولا هتقضوها جري؟

تحلقنا حول التاكسي واقتربنا من أبوابه، ولكن السائق صاح إيدكم الأول على ١٢٠ جنية أجرة التوصيلة... آه أصلها غليت ولا تحبوا أمشي؟

أخرج كل منا ما في جيبه وأعطيناه الفلوس التي طلبها وركبنا.

- إنت كنت عارف إن ده هيِخْصَلَّنَا ؟ سأله أحمد.

- طبعًا كنت عارف، وكنت هقولكم على التعويذة اللي تحميكم بس لما لقيتكم ما قدرتونيش في فلوس المشوار؛ سيبتكم أنا أصلاً ساعات بيقى شرير هاهاهاهاهااهها.

- ....

- ....

- ....

- ....

فقدنا نحن الأربعة طاقتنا على الكلام أو التواصل، وأخذ كل واحد منا يُفكر في هول ما حدث لنا، فيما قام السائق اللزج بإشعال سيجارة حشيش وأخذ ينفث دخانها وهو يضحك على اللاشيء ويدندن مع نفسه، حتى انتبهنا إليه وهو يقول:

- آه جالك الموت يا تارك الصلاة... لجنة ... ما بيقفوش هنا ثم سحب نفسًا عميقًا من السيجارة ... وقذفها من النافذة بعيدًا وحرك يده في اتجاهات مختلفة ينفض الرائحة.

كان أمامنا لجنة شرطة بها ضابط، على كتفه نسر ونجمة، وثلاث أمناء شرطة ومجموعة كبيرة من العساكر المُسلحين، وثلاثة عساكر يمسكون بكلاب بوليسية سوداء وحواجز أمنية، وعلى

جانبي الطريق كانت تقف سيارات الشرطة في وضع الاستعداد وعلى الجانب الأيسر كانت هناك مظلة ومنضدة ومجموعة كراسي بلاستيكية ... اقترب السائق اللزج من الحواجز الحديدية وتوقف عند الضابط، الذي طلب منا بلهجة آمرة:

- الرخص والبطايق.

أخرج كل منا له بطاقته الشخصية وأعطى له السائق الرخص، تفحصهم سريعًا قبل أن يشير لنا بيده أن نُكمل طريقنا:

-اتفضلوا.

حين زفر السائق ـ اللزج الحشاش ـ ارتياحًا وبدأ في التحرك، اقترب أمين شرطة من الضابط، ووسوس له بكلمات لم نسمعها ودس في يده ورقة صغيرة، قرأها سريعًا فتغيرت ملامحه وقال بلهجة آمرة غاضبة:

- أوقف يا سطى.

من جديد توقف السائق ـ اللزج ـ وتوجسنا نحن!

اقترب الضابط منا وقال بهدوء مكتوم:

-في بلاغ جه دلوقتي من سيادة العقيد سمير رأفت مدير شركة بي تي إن إن للخدمات الأمنية، مفاده أن أربعة أفراد تم

تعينهم حديثًا في الشركة، قاموا بسرقة مشغولات ذهبية تمنها مليون جنية من قصر فهمي باشا من كام ساعة.

رد أحمد سريعًا ينفي بصدق:

- لا يا فندم إحنا معملناش حاجة... القصر ده مسكون والسواق يشهد وإحنا هربانين منه...

وضع الضابط سبابته على فمه.

- هششششش ولا كلمة انزلوا وأقفوا طابور بسرعة.

نفذنا ما طلبه ونزلنا ووقفنا في طابور.

- يافندم إسمعنا ربنا يخليك. طلب منه إبراهيم متوسلاً.

تجاهلنا فيما اقترب يتشمم فم السائق قبل أن يقول بصوت عالي وكأنه وجد كنزًا:

- حشيييييش ... سرقة قصر وحشيش في يوم واحد ... بركات دعواتك يا ماما ... في يوم قالتلي هتُقبض على الأشرار يا طه وتترقى شكرًا يا ماما، ثم طلب من أمين شرطة بجواره وهو يشير إلى السائق:

-خد الكلب ده روَّقُه كويس.

بعدها اقترب منا يتشممنا واحد تلو الآخر لكنه لم يجد اثر لحشيش؛ فتكلم أحمد بنوع من الثقة:

- يا فندم إحنا زباين عاديين وما لناش دعوة بيه. السرقة دي لحد لمّا مشينا ما حصلتش ولا نعرف عنها حاجة.

- تفسروا بإيه هروبكم من القصر في وقت زيّ دلوقتي، دنتوا لو مهربتوش بعد السرقة، يبقى سهلتوا الجريمة لغيركم. اعترفوا.

تكلم إبراهيم يرد عليه:

- القصر ده مسكون والسواق شاهد ويمكن حضرتك عارف. عشان كدة إحنا هربنا منه، قبل المخلوقات اللي فيه ما تموتنا، والطاقم بتاع الحراسة اللي قبلنا هرب برضه من اللي شافه والعقيد سمير عارف الكلام ده.

رد الضابط مبتسمًا بسخرية:

- هو صحيح في ناس بتقول الحكايات دي بس ده مش معناه إنها حقيقية، وأنا مش قدامي حد غيركم وهتعترفوا يا عني هتعترفوا ما تضيعوش وقت العدالة!

اقترب أمين الشرطة - مرة أخرى- من الضابط، ووسوس له بكلمات لم نسمعها نحن، لكن الضابط أخذ يسمعها وهو يقهقه لدقائق وينظر إلينا:

-هههههههه، بقى كدة لا بجد، ههههههههههه دول طلعوا هبُل أوي، هههههههه.

بعدما استفاق من نوبة الضحك وجه حديثه إلينا:

- ضحكوا عليكوا! ... مش عيب أربع شباب متعلمين زيكم، شوية بلطجية وحرامية يضحكوا عليكم، ويفهموكم أن القصر مسكون عشان يسرقوه!

- إبراهيم ....

- هيثم ...نعم .

- أنا...إيه؟!

- أحمد... مش معقولة !!

- طيب واللي شوفناه بعنينا ... نطقها إبراهيم يعبر عن دهشتنا جميعًا.

- أغبيا، إنتو الأربعة أغبيا، دي مؤثرات بصرية وسمعية سينما يا عني، انتو ما شوفتوش إعلان بيبسي وشيبسي، لما رجّعوا الأستاذ فؤاد المهندس، وخلوه يتكلم كمان... عمومًا خلاص السواق اعترف على نفسه بكل حاجة وقال على أسماء شركائه في العصابة وهيتقبض عليهم

في أسرع وقت، أبقوا شوفلكم شغلانه غيرها وسيبوا الأمن للناس الفاهمة.

- ممكن سؤال يا فندم... لما القصر فاضي من غير حراسة سنين، مش تبقى غريبة إنهم استنونا لحد لمّا جينا، وعملوا كل ده عشان يسرقوه؟!

كان هذا السؤال منيّ للضابط، الذي فكر لثوانٍ قبل أن يُجيب:

- الموضوع أصله معقد أوي والقضية كبيرة .. وأنا ما عنديش تعليمات أتكلم عنها مع حد، تابعوا الجرايد وانتو تفهموا كل حاجة الأيام اللي جاية.

- نقدر نمشي يا حضرة الضابط؟

قالها أحمد للضابط معتمدًا على اعتراف السائق وثبوت براءَتِنا.

- لا طبعًا، انتو صحيح ما سرقتوش، بس ده ما ينفيش عنكم تهمة تسهيل الجريمة للصوص، المفروض تتحجزوا في القسم وناخد أقاولكم وبعدين تروحوا النيابة.

- يافندم والله العظيم احنا ما لينا دعوة بأي حاجة، واضّحَك علينا وحرام نشيل حاجة معملنهاش!

قالها هيثم وهو في حالة انهيار.

- عارف ... عارف وعشان كدة مش هحجزكم في القسم، هناخد أقوالكم هنا وتروحوا ع النيابة على طول، وكدة يبقى أنا عملت معاكم الصح، وساعدتكم وده أقصى حاجة ممكن أخدمكم فيها، وفي النيابة شوفولكم محامي شاطر يوقف معاكم، الحكاية مش بالساهل كدة يا أساتذة؛ دي جريمة وجناية سرقة، والقانون ما يعرفش زينب ولا يحمي المغفلين، تعالوا ورايا.

ذهب وجلس على المنضدة البلاستيكية وأشار لنا أن نجلس، كان السائق واقف بجوارنا والكلابشات في يده، وعلامات الضرب على وجهه، وهناك أمين شرطة جالس يمسك قلم وورق المحضر؛ ليسجل ما سنقول، أشار الضابط لأحد العساكر:

- هاتلي مشروبي، وهات كمان للشباب الحلوين دول، زمان ريقهم ناشف وأعصابهم تعبانة؛ من اللي عَمَلِتُه معاهم العصابة بنت العفريت دية هههههه، هبدأ بيك يا تخين يا بو كرش جنان إنت، وأشار لإبراهيم:

- اسمك، وسنك، وعنوانك، وإيه علاقتك بقصر فهمي باشا؟

إبراهيم محمد عبد الرازق، ٢٢ سنة، ٨ شارع سعد زغلول، الجمالية ... علاقتي بدأت لما اتعينت في شركة الأمن...

جاء العسكري ووضع أمامنا خمسة اكواب عصير لونه افتح من الفراولة واغمق من الليمون، العطش جعلني امسك الكوب واقربه من فمي، ولكني توقفت فجأة حين سال احمد الضابط بقرف شديد والكوب في يده:

- إيه ده يا فندم ؟؟!

رد الضابط عليه بأغرب رد سنسمعه في حياتنا، وهو يضحك:

- نسيت أعرفكم بنفسي أنا الكولونيل (عذابات) يا شوية كَاوِرْكَاتْ، وده عصير سلسلة ضهر جولفدان هانم، سمعنا خلفنا صوت العساكر وهم يهتفون بصوت يكاد يمزق آذاننا:

- ونجحنا، ونجحنا، ونجحنا.

وفجأة أظلمت الدنيا من حولنا، لحظات، رغم أن النهار قد غطى الأفق، وحل الصمت قبل أن يعود النهار، لنجدهم جميعًا قد بدلوا لبسهم الميري، والأسحلة التي كانت معهم بالبدل الأنيقة التي رأيناها في الحفلة يمسكون ويشربون من اكواب زجاجية بها عصير (سلسلة ضهر جولفدان هانم) ويقهقهون بصوت عالٍ، ظل من عرّفنا بنفسه أنه الكلونيل (عذابات) على كرسيه الذي تحول

تحته لعرش من الفضة، كان يجلس عليه بثقة يرتدي بذلة بيضاء لامعه، عليها دبوس أحمر كبير، جعلته يبدو أجمل وأشيك من الآخرين، فيما اختفى التاكسي والسائق، والسيارات والحواجز الحديدية، والكراسي البلاستيكية وسقطنا على الأرض بغتة، فتعالت ضحكاتهم علينا، أخذنا نرمقهم من الأرض بهلع وخوف، اقترب واحد منهم وقال بحماس من هزم كفار قريش لـ(عذابات) الذي يشرب العصير بيد ويدخن سيجار بيده الأخرى:

– نجحنا يا كولونيل، نجحنا، رعبناهم، إنت خِطَطَكْ ما تُخُرُّش المَايَـة أبدًا.

– طبعًا يا واد... دنا الكولونيل.

ارتفع صوتهم وهم يغنون بصوتٍ عالٍ:

((وحياة قلبى وأفراحه ... وهَنَاه فى مِساه وصباحه...

وحياة قلبي وأفراحه... وهَنَاه في مِساه وصباحه...

مالقيت فرحان فى الدنيا زى الفرحان بنجاحه))

أخذ ثلاثة منهم يطلقون ثلج الأفراح على أنفسهم، وآخر يفرقع العلب التي تُخرج شرائط ملونة.

بينما اصطف سبعة منهم خلفنا، ومد أحدهم ذراعه الذي تمدد لحوالي ثلاثة أمتار، وهو يمسك بموبايل حديث النوع:

– سيلفي البشر يلا كله ((سايّ عفاريت))، فصاح السبعة مرة واحدة وهم يبتسمون وينظرون للكاميرا ((عفاريييييت)).

ثم قال الذي قام بالتقاط الصورة:

– هتجيب عدد لايكات تاريخي على ((إنِسّتا العفريت)) ...

وأخذوا يصفقون ويصفرون ويطلقون العابهم، ونحن على وضعنا على الأرض!

((هنغني فى عيدنا وعيده

الناجح يرفع إيده

ويقول، ونقول دايمًا

ناجحين علي طول دايًما

ونجاحنا يطول دايمًا

دايمًا على طول دايًما

دااااايمًا على طول دايمًا على طووووووول))

حتى توقفوا عن الغناء فجاة وأظلمت الدنيا من جديد للحظات، وعندما عاد النهار وجدناهم قد تحولوا إلى الهيئة البشعة ذات العين الثالثة في نصف الجبهة، والقرنين الصغيرين فوق الرأس، أما الكولونيل (عذابات) فكان له نفس الهيئة لكنه أضخم من الآخرين، ووجدناه ينظر لنا وزَعَّق بصوتٍ عالٍ صَمَّ آذاننا:

- إنتو لسه قاعدين؟ قومووووا.

فقفزنا نجري وسط الصحراء ونحن نسمع ضحكاتهم، وهم يرددون ومن ورائنا:

الكولونيل يا ... يعيش يا ... يعيش... الكولونيل ... الكولونيل.

●●●

حُزين ... في القرية

أمور صعبة ومعقدة وغير مفهومة حدثت ليّ في الفترة الماضية ... لذلك قررت أن أبدأ حياتي من جديد، أن أبتعد عن المدينة وصخبها وكل من عرفته هناك، وأذهب إلى جدتي في القرية، هناك سأستعيد نفسي وتتجلى موهبتي، كمن سبقوني في هذا المجال أمثال الزملاء تشارلزديكنز وشكسبير ودوستويفسكي ،وسأبدأ في كتابة أول أفلامي.

●●●

بعد رحلة سفر شاقة وصلت هناك، كنت قد قررت أن أنام يوم وصولي؛ بسبب تعب السفر ولكن نظرًا لأن الجو هادئ، وعدم ارتباطي بالمسئوليات؛ فقد نمت أول وثاني وثالث أسبوع لي هنا!

لكن صباح هذا اليوم سيكون فارقًا في حياتي، حيث اصطحبت قلمي وأوراقي، وجلست أسفل عمود كهربائي، وقت الصباح الباكر حيث لا أحد يمر من هنا غير نسمات الهواء الفجريه المنعشة والمنشطة لخلايا العقل وبدأت أكتب:

سيناريو فيلم ((متر ديلفري))

مشهد ١ كافيه نهار/ خارجي

تُظهِر الكاميرا لنا كافيه يطل على البحر مباشرة، في وقت الظهيرة يمتلئ بمجموعة من الطاولات المرصوصة على هيئة صفين متقابلين في مساحة الكافية المستطيلة، على كل طاولة شاب وفتاة يبدو عليهم الاندماج في أحاديث العشق وعدم الانشغال بما حولهم، المكان يبدو هادئًا إلا من أصوات أمواج البحر، تقترب الكاميرا من شاب وفتاة سنعرف لاحقًا أنهم أبطال قصتنا الشاب يميل ناحية...

- السلام عليكم يا وَلَدِي ممكن اقعد جارك؟

لم أكتب أنا هذه الجملة ولكني نظرت فوجدت رجلاً عجوزًا، أقرع، قصير يرتدي عباءة خضراء يمسك عصا خشبية يدها مكعبة يُحدثني ، رددت عليه مبتسماً:

– وعليكم السلام ورحمة الله ... طبعًا، أهلا يا حاج اتفضل.

– إنت مين يا وَلَدِي؟!

– أنا حُزين ابن الحاج رضوان.

– آه آه أبوك راجل طيب عارفه، هو كمان يعرفني، قوله بس الحاج عَرَفَة بَقَّال البلد بيسلم عليك، طبعًا إنت مش

فاكرني؛ أصلك مشيت مع أبوك وانت لسّه عَيِّل صُغَيَّر، بتروح المدرسة يا وَلَدِي؟

– لا يا حاج أنا خَلَّصت من بدري وبشتغل كاتب دلوقتي.
امممممم الأيام وحشة بتمر بسرعة يا ولدي ... انت بتشتغل إيه؟

– كاتب يا حاج.

– وبتروح المحكمة في مصر ... مصر أم الدنيا ... بتلف فيها؟

– كاتب يا حاج ... كاتب ... مش حاجب.

– امممم وبتكتب إيه بقى؟

– بكتب فيلم دلوقتي.

– آآآآآآآه.

قالها وجلس صامتًا لدقائق ، تأملت وجهه جيداً وجدت أن نصف وجهه الأيمن به أثر لحرق قديم، شعرت أن من الواجب أن أستمر في الكلام معه، حتى لا يشعر إنه عطلني فسألته:

– وإنت اخبارك إيه يا حاج؟

- انا حزنان يا ولدي.
- سلامتك يا حاج مالك؟!
- تعرف صلاح؟
- ابن عم رجب؟
- لا ده واد بنتي يا ولدي، مش واد رجب.
- لا ما فتكرهوش ... ماله مش كويس؟!
- كان زيك كدة وطويل وحليوة وأمه عايزاه يروح مدرسة الضباط ... هيييه...استغفر الله العظيم...دُنيا يا ولدي.
- طيب ... وراح فين؟
- عند الدكتور شحات.
- بتاع النفسية والعصبية ؟!
- آه يا ولدي.
- لا حول ولا قوة إلا بالله إيه اللي جراله؟
- بعد ما خلّص المدرسة راح اشترى ورق كتير وعشرين قلم جاف ... وقال لأمه أنا بقيت كاتب.

وبكتب أفلام ... شويتن تلاتة... مخه اتزحلق يا ولدي.
- ..... إحم إحم، طب يا حاج بعد إذنك عندي ميعاد مهم جدًا بعد عشر دقايق، كنت نَاسيَه.
- الشارع اللي بعد الجاي، تحت الشجرة المقطوعة، ربع ساعة مشي .
- إيه ده يا حاج ؟
- ده عنوان الدكتور شحات يا ولدي ... ما تسيبش نفسك كدة!

لَمْلَمْت أوراقي ورحلت دون أن أتكلم نصف كلمة أخرى مع هذا الحاج، الله يخرب بيته يارب، عدت لمنزل جدتي، وجدتها جالسة في غرفتها تقرأ القرآن، عندما رأتني قطعت قراءتها وسألتني بصوتها الطيب:

- كنت فين يا حُزين بدري كدة؟
- روحت اكتب شوية، بس مع الأسف جاني راجل عجوز قفلي يومي وقفلي السنة كلها كمان.
- مين دا؟

- واحد معرفوش ... اسمه عَرَفَة، قالي إنه بَقّال البلد، بس راجل ممل ... قاطعتني جدتي بعصبية:

- بسم الله الرحمن الرحيم، عَرَفَة البَقّال يا حبيبي مات السنة اللي فاتت، ده أكيد حد بيهزر معاك، هو كان راجل عجوز؟ أوصفهولي كدة وأنا هعرفه إحنا بلدنا صغيرة.

قلت لها أوصافه وأنا متوتر بعد كلامها:

- راجل قصير، وأقرع، نص وشه اليمين محروق، وكان لابس عباية خضرا، وساند على عصاية خشب مكعبة من فوق، وكلمني عن ابن بنته صلاح اللي اتجنن.

صمتت جدتي قليلاً وبان الرعب والفزع على ملامح وجهها المجعدة:

هو الحاج عَرَفَة الله يرحمه، بس انت تلاقيك عشان ما فطرتش بيتهيألك، أنا هقوم أحضرلك الفطار وأرقيك من عين الحسود، خرجت جدتي من غرفتها، أما أنا فقد سقطت مغشياً عليا، ولم أدرِ بما حولي إلا عندما استيقظت.

●●●

استيقظت فوجدت نفسي نائمًا على سرير يبدو في مستشفى أو عيادة، قبل أن أدرك ما أنا فيه، دخل رجل أربعيني يرتدي بالطو أبيض مجال رؤيتي وبادرني:

-حمد لله على سلامتك يا بطل.

- الله يسلمك ...إنت مين ؟

- أنا الدكتور شحات ، بس ما تعتبرنيش دكتور تقدر تعتبرني صديقك الأنتيم، وما تخافش؛ مهما حَكَيتِلي عن الناس الميتة اللي بتقابلها وبتكلمها مش هعتبرك مجنون، تقدر تسأل عليا انا حد لذيذ جداً ههههههههه، ها قولي بقا إيه اللي بيحصلك؟

- ....

●●●